www.christianlib.com

سفر اللاويين

مقدمة

منذ أن اختبر الشعب العبراني عند خروجه من مصر بأن الرب مخلّص له من العبودية (خر ١٤) انعكس ذلك بشكل كبير على إيمانه وطقوس عباداته. وكذلك بعد أن أقام الله عهدًا مع بني إسرَإيل في سيناء (خر ١٩)، وأمر بإقامة خيمة الاجتماع لحفظ العهد، كان سفر اللاويين خير دليل للكهنة من أجل إقامة الشعائر الدينية والاحتفالات المقدسة. يأتي كلام السف ر غالبًا من سيناء، لكن السياق العام يأخذ القارئ إلى ما بعد سيناء، إلى الحياة في كنعان. وهذا يعني أن اللاويين لم يكن مجرد استطراد لسفر الخروج ومدخلاً لسفر العدد، بل جزءًا أساسيًا من الحياة الدينية الاجتماعية واستكمالاً لمضمون عهد سيناء. لذلك كان السفر أكثر من مجرد طقوس وجب تقديمها لحفظ العهد من الانتكاسات، هو تذكير بمآثر الرب وخلاصه في الماضي وإحياء للإيمان بالحاضر وإنعاش للرجاء بخلاصه في الزمن القادم.

الكاتب

جاءت تسمية سفر اللاويين من الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس «*Levitikon*»، وهي مشتقة من الترجمة اليونانية *Leuitikon*. والترجمة العربية لاسم السفر «اللاويين» («الأحبار» في الترجمة اليسوعية) لم تأتِ من العبرية بل من اللاتينية أيضًا أو اليونانية. وتوحي كلمة «لاويين» بأن السفر مخصص لعشيرة لاوي المكرسة لخدمة الهيكل أو خيمة الاجتماع، لكن كلمة «لاوي» لم تُذكر إلا بشكل عابر (لا ٢٥: ٣٢ و٣٣)، إنما استُخدمت كلمة «كهنة». وبالتالي هناك تماثل في السفر بشكل مبدئي بين اسم «اللاويين» واسم «الكهنة»، على الرغم من التمييز بينهما من حيث الرتبة لاحقًا وبعد السبي (ملا ٢: ٦-٧؛ لاحظ تعبير «الكهنة اللاويين» في لا ١٧: ٩، ١٨؛ ١٨: ١).

لكن أهمية سفر اللاويين لا تنحصر بالكهنة لأنه جزء من التوراة، أي جزء من التعليم الموجه إلى الناس أيضًا، كما كان الرب يقول دائمًا لموسى: «كلّم بني إسرَإيل» (لا ١: ٢؛ ٤: ٢؛ ٧: ٢٢). على شعب إسرَإيل إذًا أن يعرف الشريعة ويلتزم بالفرائض والواجبات المقدسة (را. إر ١٨: ١٨؛ حج ٢: ١٠-١٣). ومن هنا جاء التركيز على الطقوس وتأثيرها في الناس بالإضافة إلى تطورها التاريخي ومراحل تدوينها، لأن التقليد الكهنوتي الذي ينتمي إليه السفر لم يكن مجرد ممارسات جوفاء وفرائض لا قيمة لها، بل كانت إشارات لما يؤمن به الناس وانعكاسات للبيئة والعالم الذي يرجوه الكهنة. لذلك علينا ألاّ نقفز مباشرة إلى العهد الجديد ونحن نقرأ اللاويين، وألاّ ننظر إليه كخرقة بالية لا قيمة لها ظانين أن المسيح أوكتّاب العهد الجديد قد رفضوه، بل دعونا نتأمل معانيه، وبالطبع لفهم علاقته بالعهد الجديد.

أمّا في النص العبري فاسم السفر «و ي ق ر ه»، ومعناها «دَعَا»، وهي كلمة لا تبدو للوهلة الأولى أنها توحي بشيء عن محتوى السفر ولا تفصح عن تفاصيله. لكنها ربما لخّصت لاهوت ممارسة العبادة. فالله دَعَا في الماضي موسى الذي بدوره دعا الناس إلى خيمة الاجتماع، حيث مركز العبادة ورمز حضور الله المقدس (را. لا ١: ١). وهو يدعو الآن شعبه للعبادة ليكونوا شعبًا مقدسًا. والعبادة، وإن كانت فرضًا في الشريعة، تبقى دعوة خالصة حرّة يقدّمها من يرغب في شكر الخالق. العبادة بكل ترتيباتها الدقيقة كما نراه في اللاويين، دعوة تُدخل الناس في ليتورجية الخلق والاحتفاء بعطايا الخالق وتمجيده على نعمه. إنها تعكس إيقاع الخليقة التي أوجدها الله حسنًا جدًا، ونظمها بشكل متناغم وفصل الأشياء فيها، وميّزها عن بعضها بعضًا، وجعل لكل أمر غاية وهدفًا يحققه من خلال وجوده. فترتيب العبادة كترتيب الخليقة، كلما كانت منظمة وطاهرة استطاع الله الاقتراب منها، لأن الله قدوس. العبادات، وخاصة يوم السبت والأعياد المقدسة، ليست هي الله ذاته لكنها صورة عنه. لذلك كانت الدعوة للقداسة والتطهر أساسية نظرًا لما تقوم به من تغيير في الناس وإصلاح لما أفسدته خطاياهم في الخليقة.

البنية الأدبية

يُقسم السفر إلى قسمين أساسيين. الأول متصل بالحياة في خيمة الاجتماع (الهيكل) وطقوسها (لا ١-١٦)؛ والثاني مرتبط بالإقامة في الأرض والحياة فيه خارج الخيمة (لا ١٧-٢٧). ومعظم السفر موجه بشكل خطاب من الله إلى موسى، ما عدا الفصول ٨ إلى ١٠ تخرج عن هذه القاعدة، وكذلك في مقطع قصير متعلق بقضية الثأر في ٢٤: ١٠-١٢، ١٣-٢٢.

١: ١-١٦: ٣٤ القسم الأول: أنواع الذبائح وشرائع الطهارة

١٧: ١-٢٧: ٣٤ القسم الثاني: شريعة القداسة

١: ١-١٦: ٣٤ القسم الأول: أنواع الذبائح وشرائع الطهارة

أ. أنواع الذبائح (١-٧)، وهي فصول توجيهية تُعرِّف بالنظام الطقسي للذبائح وتشرح تقديمها. وطقوس الذبائح، عادة ما تكون متبادلة بين الكاهن ومقدِّم الذبيحة، لكن الكاهن لاحقًا

www.christianlib.com

أخذ دورًا أكبر، واكتفى المقدِّم بوضع يده على الذبيحة (قارن ٢أخ ٢٩: ٣٤؛ حز ٤٤: ١١). والذبائح متعددة: فهناك **المحرقة**، (لا ١: ٣-١٧ و٦: ٨-١٣)، وتهدف إلى التكفير عن الخطية وتكون من ذَكَر الماشية أو الطير. **والتقدمة**، (لا ٢: ١-١٦ و٦: ١٤-٢٣)، وتهدف إلى ضمان حسن النية وتأمين رضا الإله، وهي تقدمة من الدقيق أو من بواكير الحصاد. **وذبيحة السلامة**، (لا ٣: ١-١٧ و٧: ١١-٢١، ٢٨-٣٦)، وتهدف إلى تقديم الشكر لله. **وذبيحة الخطية**، (لا ٤: ١-٥: ١٣ و٦: ٢٤-٣٠)، وتهدف إلى التكفير عن خطايا السهو غير المقصودة. **ذبيحة الإثم**، (لا ٥: ١٤-٦: ٧ و٧: ١-١٠)، وتهدف إلى التكفير عن الخطايا التي تتطلب التعويض. وهناك ذبائح أخرى: «**نَافلة**»، وهي ذبيحة طوعيّة وعفوية، وذبيحة «**النذر**» وهي صدَقة أو إحسان أوجبه الإنسان على نفسه، وذبيحة «**الشكر**» من أجل السلامة التي نالها المقدِّم (را. ٧: ١٣، ١٥؛ ٢٢: ٢٩).

ب. تكريس الكهنة (٨-١٠)، وهي فصول وصفيّة، تخبر عن تكريس الكهنة، بشكل خاص عن هارون وبنيه، الأمر الذي قد يشير إلى قِدم هذه الفصول من جهة، وإلى إعطاء أهمية أعظم لكهنوت هارون ونسبه من جهة أخرى.

ج. فرائض الطهارة (١١-١٦)، تبدأ فرائض الطهارة الطقسية بلائحة الأطعمة الطاهرة والنجسة من الحيوانات البرية والمائية والطائرة والحشرات، مرورًا بفروض الطهر بعد الولادة والأمراض الجلدية ودرجاتها، ومن ثم تطهير الأغراض والبيوت والبرص ومما يفرزه الجسم. وتتوّج كل الطهورات وتكتمل باحتفال يوم الكفارة في الفصل ١٦ حين يكفّر الكاهن عن نفسه وعن شعبه ويطرد الخطية من وسطهم. إن البعض جعل الفصل ١٦ على أهميته محور السفر وقمته اللاهوتية. هو كذلك. لكن الهدف من الذبيحة الكفّارية التطهر والقداسة، لذلك جعلنا الفصل ١٩ (القداسة) مركز السفر اللاهوتي لا الكفارة. بالطبع ليست النجاسة جريمة بحد ذاتها بالنسبة للاويين، لأن الحياة اليومية تفرضها بشكل طبيعي، كالأمومة والدورة الشهرية وغسل الموتى... إلخ. لكن الجريمة ألا يتطهر الإنسان من نجاسته، ويتصرف وكأنه طاهر.

١٧: ١-٢٧: ٣٤ القسم الثاني: شريعة القداسة

ويتناول هذا القسم دور الكهنة في الحفاظ على القداسة في حياة الجماعة (الفصول ١٧-٢٧) وقضايا أخلاقية، وتسمى «شريعة القداسة».

كونوا قديسين (الفصل ١٩) يلخص هذا الفصل سفر اللاويين، لا بل يلخص التوراة كاملةً. يُطلب من الشعب أن يكون أمة مقدسة تحفظ السبت وتكرم الوالدين وتمارس العدل وتسعى لإعانة المعوزين، وغيرها من الأعمال الحسنة. هذه كلها صدى للوصايا العشر، وبتطبيقها يأمل إسرَإيل أن يكون أمة مقدسة وأفراده قديسين. بالطبع، لا تُكتسب القداسة بمجرد الاتصال بالمقدسات، بل تصير باختيار حرّ من الله وبطاعة شريعته والعيش بموجبها. أي إنَّ القداسة توق إلى الكمال وليست حالة أو رتبة يقف عندها الإنسان. يبقى الإنسان خاطئًا مهما تطهَّر، لكنّ البشر قابلون للارتقاء بربهم إذا هم اختاروه واتّضعوا.

شرائع للكهنة (الفصول ٢١-٢٢ و٢٤) وتتناول هذه الفصول القيود المفروضة على الكهنة بخصوص لمس الأموات وأمور زواجهم، والحرص في اختيارهم خالين من العيوب الجسدية، بالإضافة إلى مجموعة من الشرائع الكهنوتية، كإشعال السراج الدائم في خيمة الاجتماع، وتحضير «خبز الوجوه» أمام الرب وشرائع تخص التجديف والأخذ بالثأر والتعويض عن الأضرار.

الأعياد والاحتفالات (الفصل ٢٣) إنّ الأزمنة المقدسة، كما القضايا المسلكية، جوهرية وجزء أساسي في الحياة الروحية والاجتماعية. تَرفع الجماعة خلال الأعياد آيات الشكر لله وتبتهج به وتلتمس رعايته. مع أنّ الأعياد في جذورها كانت زراعية، إلا أنها كانت متشابكة بالتاريخ المقدس. وقد نشأت منذ البداية ثلاثة أعياد، تبعًا للدورة القمرية: الفصح، وفيه يُقدَّم بواكير الأغلال والماشية في الربيع، وقد رُبط بالخلاص من عبودية الشعب في مصر. ثم عيد الحصاد والغلال (الأسابيع) في الصيف، وقد رُبط بطور سيناء وبعطية الشريعة. والثالث جني العنب في الخريف ويُسمى عيد المظال (را. خر ٢٣: ١٤-١٧؛ ٣٤: ١٨، ٢٢؛ تث ٢٦: ١-١٧) وقد ربطه سفر اللاويين (٢٣: ٤٢، ٤٣) بزمن مسير يهوه مع شعبه في البرية وخلاصه. لا تَشكر الجماعة الرب على عطاياه في الغلال والثمار فحسب بل تتذكر مآثره في الماضي أيضًا. وقد سمّى اللاويين ٢٣ هذه الأعياد «مواسم» الرب. تبدأ المواسم بحفظ يوم السبت، وتنتهي بعيد المظال (الذي يسبقه عيد الأبواق ويوم الكفارة) لتعود في الربيع التالي وتكرّر دورتها.

سنة اليوبيل وفكّ الحجر والبشر، (الفصل ٢٥) يُعتبر هذا الفصل المكان الوحيد في العهد القديم الذي يتحدث فيه بشكل مباشر عن شريعة ملكية الأرض. الملكية التزامات وواجبات، والمالكون وكلاء على الأرض، عليهم رعايتها. الأرض ليست مطوّبة باسم أحد. لذلك كانت سنة اليوبيل «عتق» للأرض والبشر. هي السنة الخمسون ليُعيد كلٌّ إلى «مُلْكه» (ع. ١٣، ٢٤، ٢٥... وما يليه) ويُفكّ المُلك سواء كان محجوزًا أم مؤجَّرًا أم مرهونًا.

الخاتمة: البركات واللعنات، ٢٦: ٣-٤٦. تُختم شريعة القداسة بالبركات لمن يحفظ الوصايا ويعمل بها، وبالعقوبات لمن لا يطيعها ولا يحفظ العهد مع إلهه. وهي خاتمة كلاسيكية تسير

www.christianlib.com

على غرار التثنية ٢٨ وتذكّر الناس بعهد سيناء. فإمّا البركات والخيرات والغلّات والسلام (الخالي من الحروب) والعيش الطيب ورؤية الأجيال والسكن الآمن متوج بسكن الله في وسط شعبه، وإمّا اللعنات والشقاء والسيف والرعب والأمراض والقحط حتى الانقراض، إذا لم يحفظوا الفرائض. إنها مسؤولية الجماعة في خيارتها.

ملحق لشرائع أخرى (الفصل ٢٧) أما الفصل ٢٧ فهو ملحق يسرد قواعد فكّ النذور وقيمتها المادية، لأن النذور (الوعود) تفرض نظامًا شديدًا على النذير (عد ٦: ٢-٢١) والتزامًا قاسيًا أحيانًا لا يستطيع إكماله. وكذلك يمكن فكّ البهائم والبيوت والحقول بعد تقيمها من قبل الكاهن. ويُختم الفصل بالحديث عن نظام العشور كنظام مساعد لدخل الهيكل والكهنة. يعطي الإنسان مما استلمه من ربه، وبالعطاء يتحرر.

أهمية سفر اللاويين للعهد الجديد واللاهوت المسيحي

اقتباسات العهد الجديد: إن اقتباسات العهد الجديد من سفر اللاويين محدودة جدًا، وأكثرها مأخوذ من «شريعة القداسة» (لا ١٧-٢٦). (انظر لا ١٩: ١٨ // مت ٢٢: ٣٩ ومر ١٢: ٣١ رو ١٣: ٩...وما يليه؛ لا ١٢: ٨ // لو ٢: ٢٤؛ لا ١٨: ٥ // رو ١٠: ٥ وغل ٣: ١٢؛ لا ٢٦: ١٢ // ٢كو ٦: ١٦؛ لا ١١: ٤٤، ٤٥ و١٩: ٢ و٢٠: ٧ // ١بط ١: ١٦). لكن تأثير السفر على العهد الجديد لا يقاس بعدد الشواهد التي أتت منه. فالعهد الجديد لا ينفكّ عن دعوة المؤمنين لأن يكونوا أمة مقدسة (مت ٥: ٤٨؛ ١بط ١: ١٥-١٦). لقد ساعدنا سفر اللاويين كثيرًا على فهم الذبائح ودورها، وبالتالي فهم ذبيحة المسيح وموته، وبشكل خاص الرسالة إلى العبرانيين. هناك إسقاطات كثيرة للمصطلحات القديمة المخصصة للذبيحة نراها في العهد الجديد، لكنها جاءت بقالب جديد وفهم أشمل.

ذبيحة المسيح: أعطى المسيح القيمة الحقيقية لسفر اللاويين ونظام الذبائح. فقد ربط المسيح بين موته والعشاء الفصحي (مت ٢٦: ٢؛ يو ١١: ٥٥- ٥٧؛ ١٢: ١)، واستخدم تعبير «دم العهد» (خر ٢٤: ٢؛ را. مر ١٤: ٢٤) ليُعرّف تلاميذه بطابع الذبيحة لموته الذي صار مصدر حياة وخلاص وغفران وعهد أبدي جديد. إن الإشارة الواردة في يو ١٧: ١٩ (مع كون يوحنا لم يقتبس مباشرة من اللاويين) «لأجلهم أقدّس ذاتي ليكونوا هم أيضًا مقدَّسين في الحق» تلخّص التعليم بخصوص الذبائح الوارد في اللاويين وهي القداسة. أما الذبيحة «فتذكار» (لا ٢٤: ٧) كما في صورة العشاء الأخير والمأدبة «اصنعوا هذا لذكري»، ليس بمعنى بقائها في الذاكرة فحسب وعدم نسيان ما حدث، بل حضورها بالروح القدس. هي قداسة حاضرة. هذه المأدبة تُتمِّم جميع الذبائح وتُوحِّد المشتركين فيها. المسيح هو «فصحنا» (١كو ٥: ٧؛ يو ١٩: ٣٦) و«حمل» الله والخروف الذبيح (١بط ١: ١٩؛ رؤ ٥: ٦) الذي يحقق التكفير عن الخطايا بموته (رو ٣: ٢٤-٢٥) والمصالحة بين الله والناس (٢كو ٥: ١٩-٢١؛ كو ٢: ١٤) فلا يحصل المؤمنون على طهارة الجسد فحسب بل على طهارة الضمير أيضًا (عب ٩: ١٢-١٤).

دم الذبائح والمسيح: بما أن دم الذبيحة له دور التكفير في طقوس الذبائح في اللاويين (لا ٧: ١٠- ١٤)، ويشير إلى الحياة المُراقة والتضحية المقدّمة كعربون شكر لله على غفرانه ورحمته، كذلك دم المسيح (رو ٥: ٩؛ كو ١: ٢٠؛ أف ١: ٧؛ ٢: ١٣؛ عب ٩: ١٤؛ ١٠: ١٩؛ ١بط ١: ٢، ١٨-١٩؛ ١يو ١: ٧؛ رؤ ٧: ١٤؛ ١٢: ١١) رمز للمحبة الذي أظهرها بدمه السكيب. لا نتكلم عن دماء الذبائح وكأن الله متعطش إليها؛ ولا عن المقايضة (حياة مقابل حياة)، لأن الذبيحة والمقدِّم غير متكافئين. يحتاج الإنسان إلى دم الصليب ليفهم قصة الحب الإلهية، لأن الذبيحة في جوهرها فعل تضحية. هذا هو السر المكتوم منذ الدهور وقد كشفه الله في المسيح: لقد قَتلت البشرية المسيح فرد الله على الجريمة بالحب وكان غفورًا مسامحًا لهم خطاياهم. بهذا يستطيع المؤمن أن يحول كل جراحه إلى قوة رجاء وطاقة محبة تواجه الموت، فليس من دليل على الحب مثل الدم المراق. دم ابنه كشف لنا حب الآب وغفرانه وخلاصه. الذبيحة في جوهرها فعل محبة «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد» (يو ٣: ١٦).

البشرية الواحدة: منذ أن خلق العالم، ومبدأ الحياة يقابله الموت. وكانت رسالة التوراة بشكل عام، والتي ينطوي فيها سفر اللاويين، أن الرب صنع كل شيء حسنًا وحوَّل الأرض الخربة الخالية إلى مكان يعجّ بالحياة؛ لكن الخطية أودت بها إلى الموت وأرجعتها إلى الخراب والخواء. وحيث إنَّ الحياة هي أكثر من مجرد التنفس، كما أن الموت أكثر من مجرد انقطاع النفس، كانت رسالة سفر اللاويين في أن الحياة توجد في كل ما هو طاهر وحق، والموت في كل ما هو دنس وقذر. كل النظام الذبائحي في اللاويين هدفه الانتقال من الموت الذي يحيط بالإنسان من كل جانب إلى الحياة التي كان عليها سابقًا وإلى الرجاء في أن يبقى في الحياة دائمًا. لذلك كانت الأعياد وهي زمن الفرح والبهجة والسرور، لأنها عودة إلى الخالق، مصدر الحياة، لطلب عفوه وشكره وحمده على جميع عطاياه ونعمه. لا شك أن الذبيحة لا تغفر الخطايا بمجرد تقديمها، ولا تكفّر دماؤها عن معاصي المذنبين بمجرد سفكها، بل القلب التائب والروح المتواضعة أمام الله (مز ٥١: ١٧).

www.christianlib.com

التفسير

١: ١–١٦: ٣٤ القسم الأول: أنواع الذبائح وشرائع الطهارة

١: ١– ٧: ٣٨ أولًا: أنواع الذبائح تتناول الفصول السبعة الأولى مختلف أنواع الذبائح وطرق تقديمها. وهي خمسة أنواع: المحرقات، التقدمات، ذبائح السلامة، ذبيحة الخطية، وذبيحة الإثم. كما تتناول دور الكاهن في الطقوس والذبائح.

تبدأ الفصول بمقدمة (١: ١–٢) وتنتهي بخاتمة (٧: ٣٧–٣٨) ترتبط هذه الخاتمة بموسى وجبل سيناء في البرية. أي تستند إلى سلطة موسى. كما تنقسم الفصول إلى جزأين (لا ١–٥ و٦–٧) يتناولان نفس الذبائح لكن بترتيب مختلف. والجزء الأول ينقسم أيضًا إلى شقين (لا ١–٣ و٤–٥)، الشق الأول (لا ١–٣) وفيه الوقائد، وتتضمن: المحرقات والتقدمات وذبائح السلامة، ومستهلّة بجملة: «إذا قرَّب إنسان منكم قربانًا للرب» (١: ٢ب)، وبالتالي هي وقائد طوعيّة، «رائحة سرور» للرب، وكأنها رمز شكر أو تكفير خياري. كما يمكن أن يُقدَّمها العابد بنفسه. والشق الثاني (لا ٤–٥) فيه ذبائح التكفير: وهي ذبائح الخطية للتطهير وذبائح التعويض، وكلاهما مرتبط بمكانة الشخص الذي أخطأ. وهي ذبائح ليست خيارية ولا طوعية، بل إلزامية كي يبقى المخطئ عضوًا في الجماعة ويحافظ على العهد. والجزء الثاني (لا ٦ و٧) يتحدث عن نفس الذبائح السابقة لكنه يهتم بطريقة تقديمها ويحرص على قداستها، أي طرق التعامل مع بقاياها بعد الانتهاء من طقوس التقديم. وأيضًا تهتم بالحصص التي يحصل عليها الكاهن من الذبيحة. إنها شرائع تعلم بني إسرَإيل (٧: ٢٣) ما يقوم به الكاهن في داخل الهيكل. وكأننا أمام مصادر مخصصة للكهنة وأخرى مخصصة للناس ومعرفتهم بالذبائح. إن معرفة الناس لما يجب أن يقوم به الكهنة يسمح بمتابعة عمل الكهنة ليكون على أكمل وجه. وهذا يقود إلى مشاركة الذين لا ينتمون لفئة الكهنة في العبادة؛ فالعابد ليس مجرّد متلقٍّ. جدير بالذكر أن الخاتمة (٧: ٣٥–٣٨)، كما حرف العطف «و» في البداية، تربط هذا القسم بسفر الخروج ٢٩–٤٠، لا بل تربطه بالسياق الأكبر لسفر اللاويين من خروج ٢٥ حين صعد الشعب إلى سيناء وحتى نزوله منه في سفر العدد ١٠.

١: ١– ٢ مقدمة: عنوان السفر تحتوي المقدمة على كلمتين مميزتين: «**دعا**» و«**كَلَّمْ**». هناك استدعاء وتبليغ. وتُستخدم العبارتان للنداء في الأعياد والمحافل المقدسة ويوم الكفارة (٢٣: ٢، ٤، ٢١، ٣٧؛ ٢٥: ١٠) وهما لتأكيد أهمية الشرائع التي يجب على الكهنة وبني إسرَإيل معرفتها والالتزام بها، خاصة بعد أن انتهى موسى من بناء الخيمة (خر ٤٠). لكنها بالمحصلة تشير إلى أن العبادة والطقوس دعوة مبنية على العهد أكثر مما هي مجرد فرائض. أما الشعائر فهي العلامات الخارجية للدعوة الحرة الموجهة من الرب المبادر. كانت الطقوس مراسيم، مسرحًا دينيًا فيه الألوان والفنون والرسوم والإنشاد والسجدات والحركات، فيه ماء وخبز وخمر وتراب على الراقدين وغيرها. فالمعمودية مثلًا تقبّلها اليهود ودلوا فيها على توبتهم عندما كانوا يأتون إلى يوحنا المعمدان. لكن مع المسيح لا يكتفي المؤمن بالمعمودية ولا تنتهي القصة فيها. عليه أن يظل معمدًا، أي دائم التوبة ليتحرر من خطاياه. قد يتعمد بعض الأشرار ويأتون إلى الكنيسة يوم الأحد ولا يتغيرون، هذه لا قيمة لها بل تصير شعائرهم كذبًا على أنفسهم وعلى الآخرين. فصلواتنا كلها وطقوسها المتنوعة ليس لها معنى إن لم نتب، فهي رمز لطهارة قلوبنا وغسلها، معراج للنفس واستعداد لتقبل النعمة ونقل الإيمان للمؤمنين. يجب ألاَّ تحيد الطقوس عن مضمونيتها وروحيتها. لذلك تُؤكد الشرائع أهمية تعلّم الناس طقوس الذبائح ومشاركتهم فيها. ومن هنا نفهم مهمة الكاهن الأصلية التي كانت تنحصر في مرافقة العابد لتقديم ذبائحه، ومراقبته لتقديمها بشكل صحيح. لم يكن الكاهن في الأصل يقوم بها بدلًا عنه. الكاهن ليس بديلًا للعابد، بل معلم ومرشد له، لأن كليهما منخرطان في العهد. لا يستطيع الكاهن أو القسيس مثلًا أن يقيم صلاة العبادة وكسر الخبز دون جمهور العابدين، لأن الإنسان الواقف أمام محضر الله واقف أيضًا مع الإخوة، ومع الإخوة نصير أمة مقدسة، لأن الإنسان لا يخلص لوحده بل مع الآخرين. «**خيمة**»، وأحيانًا «المسكن» (٨: ١٠؛ ١٥: ٣١؛ ١٧: ٤؛ ٢٦: ١١)، مع كون العبارتين لهما نفس المعنى، لكن قد يكون لهما دلالة مختلفة. المسكن يشير إلى مكان سكن يهوه أو قدس الأقداس؛ أما خيمة الاجتماع فتشير إلى مكان لقائه بالشعب أو بالقادة في فناء الخيمة وعند بابها (قارن خر ٢٩: ٤٢). لاهوتيًا: هل هي المكان الذي تلتقي فيه الألوهية بالبشرية؟ (را. يو ١: ١٤؛ عب ٢: ١٤). الخيمة، بسيطة الشكل (قبل إنشاء الهيكل)، مستطيلة وتقسم إلى غرفتين. واحدة جهة الغرب وفيها «تابوت العهد» حيث «مسكن» الله، والثانية بجوارها، وفيها مذبح الذهب (البخور) ومائدة خبز الوجوه (قارن ٢٤: ٥–٩) والمنارة أو السُّرج (٢٤: ٢–٤). ويقع المذبح خارج الخيمة، عند باب الخيمة بالاتجاه الشرقي، وقربه تقع المرحضة. «**بني إسرَإيل**»: ويقصد بها كل الجماعة التي انضمت للعهد في سيناء، لا مملكة إسرَإيل الشمالية. لكن يعود الكاتب ويستخدم عبارة «**إنسان**» أو آدم، فيربطنا بسفر التكوين. إنه سفر العبادة لآدم، لا لبني إسرَإيل فحسب، بل لآدم. كل البشر معنيّون بالعبادة مع حصرية تقديم الذبائح ليهوه، لا لإله آخر، وأمام باب الخيمة، ودون توسّط؛ كون المقدِّم يذبحها بنفسه. «**قرَّب**» «**قربان**» «**قرابينكم**»: وهي تقدمات وعطايا على أنواعها: حيوانية، معادن ثمينة، حبوب وفاكهة، خضار... (را. لا ٢: ١،

www.christianlib.com

٥؛ عد ٧: ١٣؛ ٣١: ٥٠) هي للتقرب، لا لاسترضائه وكأنه بحاجة لها، بل عربون مودة وقربى. واستُخدمت مرة في العهد الجديد (مر ٧: ١١) بمعنى الهدية التي كان الأبناء أحيانًا يقدمونها بشكل عهد للهيكل تهرّبًا من واجباتهم تجاه الأهل.

١: ٣-٣: ١٧ أنواع أولية من الذبائح

١: ٣-١٧ المحرقات

محرقة («ع ل ه»، را. ٦: ٨-١٣)، أول الذبائح المحرقات، لعلّها ذُكرت قبل غيرها نظرًا لاتساع استخدامها. تُقدَّم المحرقة عادة كل صباح (حز ٤٥: ١٣-١٥؛ ٢مل ١٦: ١٥؛ ١أخ ١٦: ٤٠؛ ٢أخ ٢: ٣؛ ١٣: ١١)، لكن بعض النصوص تذكر تقديمها في المساء أيضًا مع تقدمة الدقيق (عد ٢٨: ٣-٨؛ ١أخ ١٦: ٤٠). خصوصيتها في كونها تُحرق كاملًا. وتُقدَّم كذلك في الاحتفالات والمناسبات: في أول كل شهر قمري، وكل يوم من أيام عيد الفصح، وفي عيد الأسابيع والمظال ويوم الكفارة، وفي مناسبات أخرى للملك (٢صم ٦: ١٧-١٨)، وفي ذِكرى تطهير الهيكل (٢أخ ٢٩: ٢٠-٢٨) وعودة تابوت العهد للهيكل (١صم ٦: ١٤). (ع. ٢) «**من البقر**»، وهي أغلى ما يمكن تقديمه من البهائم نظرًا لقيمتها مقارنة مع الغنم والطيور. على الأرجح المحرقة المذكورة هنا بالتفصيل هي ذبيحة التدشين نظرًا لوقوعها بعد انتهاء موسى من إقامة خيمة الاجتماع. وتُقدَّم على الشكل التالي: أولا **يُقرِّب** العابد تقدمته («ق ر ب» ع. ٣، ١٠، ١٤)، ثم **يضع يده** عليها («س م ك»، ع. ٤)، ويقوم **بذبحها** («ش ح ط»، ع. ٥أ، ١١أ)، ثم **يرشّ** الكاهن دمها على المذبح («ز ر ق»، ع. ٥ج، ١١ب) **ويقطّعها** بعد سلخها («ن ث ح»، ع. ٦، ١٢) **ويغسل** أحشاءها وأكارعها بالماء («ر ح تس»، ع. ٩، ١٣) وأخيرًا في المرحلة السابعة **يحرقها** كاملًا بالنار («ق ط ر»، ع. ٩، ١٣، ١٧). وبشكل عام كانت مهمة الكاهن تنحصر في مرافقة المقدِّم في تلك المراحل، وكذلك في تحضير قطع الذبيحة ووضعها على النار مع الرأس والشحم بعد ترتيب الحطب (ع. ٧و٨). لكن، ومع الوقت وعندما كثرت الذبائح، اكتفى العابد بوضع يده على الذبيحة ليقوم الكاهن بباقي الواجبات (قارن ٢أخ ٢٩: ٣٤؛ حز ٤٤: ١١). (ع. ٣) «**إلى باب خيمة الاجتماع**»، لا في داخل الخيمة لأنه مقدس، بل عند الباب (قارن لا ١٧: ٣-٩) يقوم صاحبها بذبحها وسلخها. ومع بناء الهيكل سيكون الذبح ضمن حرم الهيكل. «**أمام الرب**»، أي لا يجوز أن يذبحها خارجًا في مكان آخر أو على مذبح آخر لآلهة أخرى، بل قرب حرم الخيمة وبحضور كاهن الرب. ويجب أن تكون صحيحة بلا عيب، علاوة على كونها حوليّة (عمرها سنة واحدة) ومن الذكور. «**للرضا عنه**»، لا استحقاق في المحرقات بل استحسان لنعمة الله. وهذا أساسي لفهم لاهوت الذبائح: يقوى الإنسان برضا الله وبعطفه عليه، وهي تُقدَّم كل صباح لأن الإنسان وحده لا يقوى على شيء، بل يصير شيئًا إذا رضي الله عنه لأن كل شيء يأتي منه. وتهدف المحرقة إلى عدة أشياء: حمد الله وشكره والتوسل إليه، أو إكمالًا لعهد قطعه الإنسان (لا ٢٢: ١٨) أو من أجل التطهّر من مرض جلدي ما (١٤: ١٩، ٢٠، ٢٢، ٣١؛ ١٥: ١٤، ١٥، ٢٩، ٣٠) أو للنذير عند إقامة عهده (عد ٦: ١٤، ١٦).

(ع. ٤) وقد أُعطي لهذه الذبائح وظيفة «**التكفير**» (ك ف ر) أي ستر عليه، لا كبديل عنه، لأن الاستحقاق والقربى يحدث برضا الرب وافتقاده لا بالذبيحة بحدّ ذاتها. وهي تكفّر لا عن خطية محددة بل بشكل عام عن كل حالته الفاسدة الخاطئة لكونه لا يستطيع التقرب إلى الرب والعبادة دون تكفير. وربما كان وضع اليد إشارة إلى أن الذبيحة مخصصة لصاحبها، ولا تعني بالضرورة أن خطاياه تنتقل إلى الذبيحة (را. ذبيحة التكفير ١٦: ٢١) وما حرق المحرقة على المذبح إلا علامة على أنها لم تتنجس بخطايا صاحبها، وإلا لما أكل منها هو ولا الكاهن أيضًا، لأنه لا يمكن أن يأكلا شيئًا قد تنجس بالخطايا. أما في ذبيحة الكفارة فتُطلق في البرية مع تيس عزازيل ولا تُقدم على المذبح. كان على الأرجح المقدِّم حين يعترف بخطاياه يقرأ بعض المزامير المناسبة (مز ٤٠، ٥١، ٦٦). (ع. ٥) «**بنو هارون**»، أي الكهنة المخوّل لهم إقامة الشعائر لا أي كاهن آخر، وهذا تشديد على مركزية الكهنوت في هارون والعبادة في أورشليم. هم مكلفون بالصعود على المذبح ولا أحد آخر. أما «**الدم**» فهو أقدس ما في الذبيحة، وهو إشارة إلى الحياة التي تسكب أمام الرب (را. تك ٩: ٤؛ تث ١٢: ١٦، ٢٣؛ ومز ٣٠: ٩). والكاهن وحده مخول للتعامل معه ورشّه «مستديرًا» بعد أن يجمعه بواسطة أدوات نحاسية ملحقة بالمذبح (قارن خر ٢٧: ٣؛ ٣٨: ٣) يبقيه ساخنًا فلا يتخثر ليدور به حول المذبح ويرشه؛ أو، كما في التلمود، يقف جهة الشمال للمذبح ويرشّ منها إلى الزاوية المقابلة، ثم يدور إلى الجهة الجنوبية ويرشّ منها كذلك إلى الجهة المقابلة. ويسكب الدم المتبقي على قاعدة المذبح. (ع. ٦) «**يسلخ**»، لا يُحرق الجلد المسلوخ، بل يُعطى للكاهن (٧: ٨)؛ ولم يُذكر الجلد في بقية الذبائح. في وقت لاحق أخذ الكاهن مهمة سلخ الجلد (٢أخ ٢٩: ٣٤؛ قارن ٣٥: ١١) لتجنب الأخطاء في الطقوس ولكثرة الذبائح. أما تقطيع الذبيحة فعادة قديمة (قارن ١مل ١٨: ٢٣، ٣٣) وعلى الأرجح تقطيع منظم ليسهل ترتيبها على المذبح. (ع. ٧و٨) يهتم الكاهن أيضًا بإشعال النار على المذبح وترتيب الحطب عليه. ولا يجوز أن يأخذ نار المذبح إلى الخارج أو أن يأتي بنار غريبة من خارج الهيكل. وإذا لم يستوعب المذبح حجم الأضاحي، تُحرق الذبائح من نار المذبح وقربه (قارن ١مل ٨: ٦٤). (ع. ٩) يُنظف المقدِّم الأحشاء والأكارع جيدًا كي لا تنجس

www.christianlib.com

الهيكل. ويوقد الكاهن «**الجميع**» لأنها ذبيحة محرقة. والدخان الذي يصعد من الذبيحة ومن حرق الشحوم هو «**رائحة سرور**» (ر ي ح/ ن ي ح و ح) يصعد إلى أنف الرب ليشتم منه رائحة الرضا، لا لتسكين غضب الله، بل لطلب افتقاده. وصعودها يعني قبولها. (ع. ١٠-١٣) أما تقديم الغنم فعادة ما تكون حولية، أي عمرها سنة (لا ١٢: ٦؛ ٢٣: ١٢؛ عد ٦: ١٤؛ ٢٨: ٣) أو من الماعز التي عادة ما تكون مخصصة لذبائح التطهير (لا ٤: ٢٣، ٢٨). «**إلى الشمال**»، هو على الأرجح ترتيب لاحق، وُضع لتوسيع رقعة مكان الذبائح بعد تنامي عددها. وباب الخيمة مفتوح باتجاه الشرق. والصعود إلى المذبح كان من جهة الجنوب. أما تقدمة الطيور (ع. ١٤-١٧) وهي عادة من الحمام أو اليمام، على الأرجح، لأنها الطيور الوحيدة التي كان العبرانيون يربونها (قارن ٢ مل ٦: ٢٥). وعلى الأغلب درجت ممارستها بعد السبي وبعد تنامي الفقر. ولا ذكر لوضع اليد عليها، ولا عن جنسها أو صحتها، وهذا على الأرجح، لتسهيل الأمر أكثر على الفقراء. ويقوم الكاهن بكامل طقوس تقديم الطيور، فيحزّ عنقها ويضغطها على حائط المذبح لتخرج منها بعض الدماء، وينزع حوصلتها مع بِرازها ويرميها جانبًا من الجهة الشرقية للمذبح في «**مكان الرماد**» بعيدًا عن مدخل الخيمة. وقيل إنها تؤخذ خارجًا مع الرماد الممزوج بالشحوم وترمى في «مرمى الرماد» في مكان طاهر خارج المحلة (قارن ٤: ١٢) انتقل على الأرجح بعد بناء الهيكل إلى وادي قدرون.

إن موت المسيح يمكن مقاربته من ذبيحة المحرقة. كان المسيح كاملًا بلا عيب ولا غضن (١بط ١: ١٨-١٩) أطاع الآب طاعة تامة لا لوم فيها (عب ٩: ٢٣-٢٦) فقدَّم نفسه كذبيحة كاملة على الصليب فاقت كل ذبائح العهد القديم وكانت كافية لتكمّل كل ذبيحة سابقة وتحقق غاياتها. لكننا لا نتحدث عن ذبيحة المسيح ودمه المسفوك وكأن الله بحاجة إلى دم ابنه ليكفر عن خطايانا. نحن لا نتحدث عن دم المسيح والصليب إلا كمطرح للحب السكيب الذي بيّنه الآب لنا في ابنه. الله لم يخترع الصليب بل كان الصليب موجودًا، فقبله المسيح طوعًا وحمله عنا. التجسد لم يحصل بسبب خطية الإنسان بل بسبب محبة الآب، وهكذا الصليب؛ سواء أخطأ الإنسان أم لم يُخطئ، كان ينبغي أن يتألم المسيح ليعرف الإنسان مقدار عمق ارتباطه بالله. لذلك كان لا بد من الصليب لنفهم محبة الآب (يو ٣: ١٦).

٢: ١-١٦ التقدمات

«**تقدمة**» («**م ن ح ه**»، را. ٦: ١٤-٢٣)، هي ذات استخدام واسع، منها الهدايا لنيل الاستحسان أو لعمل الواجب (مثلًا ١صم ١٠: ٢٧)، ومنها إكرامًا أو جزية تُدفع لصاحب الأرض (١مل ٥: ١)؛ وهي من الماشية أو الثمار (را. ملا ١: ١٠، ١١، ١٣؛ ٢: ١٢، ١٣؛ ٣: ٣، ٤). أما في الاستخدام الطقسي فهي من الدقيق. تُقسم شعائر التقدمات إلى أربعة: سكب الزيت عليها («ي تص ق»، ع. ١، ٦) ثم تقديمها للكاهن («ه ب ي ا»، ع. ٢، ٨) الذي يقبض منها ملء قبضته تذكارًا («ق م تص»، ع. ٢، ٩) ويوقدها فوق النار («ه ق ط ي ر»، ع. ٢، ٩). **والتذكار** هو عمل الإنسان في تذكّر نعم الله عليه في كل يوم والإشادة بها، وليست لتذكير الله به. يُضاف على التقدمة اللبان، وتُعطى البقية للكاهن (ع. ٣، ١٠). وتُوصف حصة الكاهن من الدقيق بأنها «**قدس أقداس**» (ع. ٣) أي تؤكل حصرًا في المكان المقدس في الخيمة، ومن قبل الكاهن فقط، لا من قبل أولاده أو زوجته (قارن حز ٤٢: ١٣). ويمكن أن يكون الدقيق مخبوزًا في تنّور أو على الصاج أو طاجن (مقليّ)، فالشريعة تعطي مساحة للعطاء كلٍّ بحسب تقليده في صناعة الخبز، شرط أن يكون فطيرًا (ع. ٥-٧) ولا يحوي على العسل، أي غير محلّى (لكن قارن ٢أخ ٣١: ٥). بل يوضع **الملح** مع جميع التقدمات لأنه رمز للعهد بين المقدِّم والرب، الذي سُمي مرتين بميثاق/عهد الملح (عد ١٨: ١٩؛ ٢أخ ١٣: ٥) وللحفاظ عليه. تمامًا كما يقال اليوم في المثل العامي: «بيننا خبز وملح» في إشارة للمودة والألفة والترابط بين الاثنين. وقد نعتَ المسيح تلاميذه بقوله: «أنتم ملح الأرض» (مت ٥: ١٣) في إشارة إلى **العهد** الجديد المملح؛ وكذلك في قوله «أنا هو خبز الحياة» (يو ٦: ٣٥) أشار إلى قربان التقدمة وقربان جسده، لذلك يَطلب منهم المشاركة في أكله لكي تكون لهم حياة أبدية (يو ٦: ٤٧-٥٨). وتُرفع «التقدمة» فوق المذبح، «وقود رائحة سرور للرب». أما تقدمة «**باكورات الرب**» (ع. ١٤) فهي بواكير الحصاد، فمن الفريك المشوي بعد نزع حبه من رؤوس السنابل الطرية وجرشها وشيّها؛ وتُقدَّم كذلك في عيد الأسابيع (لا ٢٣: ١٥-٢٢؛ خر ٣٤: ٢٢) ويتلو المقدِّم أعمال الرب المخلِّصة فيما هو يرفع تقدمته (تث ٢٦: ١-١١). «**سَوِيقًا**»، طريًا وسهل البلع من مدقوق الحنطة؛ وحرفيًا (ك ر م ل)، تأخذنا الكلمة إلى جبل «الكرمل» حيث البواكير الغنية الخصبة التي تُقدَّم كهدية للرب.

٣: ١-١٧ ذبائح السلامة

«**ذبيحة سلامة**» («**ز ب ح/ ش ل م ي م**»، را. ٧: ١١-٢١، ٢٨-٣٦)، وتُقسم إلى ثلاثة أقسام تبعًا لنوع الذبائح: البقر، الغنم، والمعز. ولطقوسها ست مراحل: التقريب («ق ر ب»، ع. ١، ٦، ٧، ١٢) ثم وضع اليد على رأس الذبيحة («س م ك»، ع. ٢، ٨، ١٣) فالذبح («ش ح ط»، ٢، ٨، ١٣) فرشّ الدم من قبل الكاهن («ز ر ق»، ع. ٢، ٨، ١٣) ثم إزالة الشحوم من الذبيحة («ه س ي ر»، ع. ٣-٤، ٩-١٠، ١٤-١٥) وأخيرًا يوقد الشحم من قبل الكاهن («ه ق ط ي ر»، ع. ٥، ١١، ١٦). (ع. ١-٢) «**ذبيحة**

www.christianlib.com

سلامة» أتت الكلمة بحالة الجمع، «سلامات»، لتأكيد الرمز الضمني العميق والمطلق فيها، وهو السلام بين المقدِّم والرب، أو بين العائلة والله، كون العائلة تشترك في أكل هذه الذبيحة. وهي تُقدَّم في كل الأوقات، بالإضافة إلى مناسبات خاصة أخرى: كالعهد في سيناء (خر ٢٤: ٥) وتنصيب شاول ملكًا على إسرَإيل (١صم ١١: ١٥) عودة تابوت العهد لأورشليم (٢صم ٦: ١٧-١٨) وتكريس سليمان للهيكل (١مل ٨: ٦٤). وبحسب ٧: ١٢-١٦ هي ثلاثة أنواع: الشكر، النذر، والطوعيّة (نافلة)؛ ونادرًا ما تستخدم في أوقات الحزن (قض ٢٠: ٢٦؛ ٢١: ٤؛ ١صم ١٣: ٩؛ ٢صم ٢٤: ٢٥). «**ذكرًا أو أنثى**» لأن نوعية الذبيحة سلامية وشُكرية وعفوية، ولم يذكر أي شيء عن عمر الذبيحة، الأمر الذي يوسّع عدد مقربيها. «**يضع يده**»، كما في ١: ٤، لا تعني نقل خطاياه إلى الذبيحة فهذه ذبيحة سلامة وليست تكفيرية؛ ولعلها للإشارة إلى أنها تخصّ المقدِّم ويعلن بها أنه مستمر على العهد مع إلهه. «**عند باب الخيمة**» أيضًا لتأكيد قدسية المكان بعدم ذبحها لآلهة أخرى (را. ١: ٥) أو لمنع دخول المقدِّم إلى الخيمة. «**مستديرًا**» يَرشُّ الكاهن الدم حول المذبح (را. ١: ٥). (ع. ٣-٥) أُعطيت أهمية كبيرة لجمع الشحوم التي تغطي الأعضاء الداخلية (الأمعاء والكليتين والخاصرتين والمرارة) وحرقها «**فوق الحطب**»، أي في أعلاه. وسُمّيت أحيانًا: «شحم ذبائح السلامة» (٢أخ ٧: ٧؛ قارن ١مل ٨: ٦٤). لاحظ أن «العصعص» (ع. ٩)، وهو أكبر شحمة في الخروف، يُقدَّم كاملًا. كل الشحم للرب (ع. ١٦). وقديمًا، وربما إلى اليوم، كانت الثقافة الشرقية تعتبر الكبد والكلى مركزي الأحاسيس العميقة في الإنسان (مرا ٢: ١١؛ قارن مز ١٦: ٩؛ حز ٢١: ٢١)، خاصة الكلى، التي تختزن الفرح والحزن، وأفكار الإنسان الداخلية ووعيه وضميره (مز ١٦: ٧؛ ٧٣: ٢١؛ إر ١١: ٢٠؛ ١٧: ١٠). الكلي (ك ل ي ه) رديفة للقلب (ل ب). ويوقد الكاهن الشحم فوق الحطب، وبعض أجزاء ذبيحة السلامة يجب أن توضع في قمة المحرقة على المذبح لتكون رائحة سرور مرضية لدى الرب. أي تحرق آخرًا، وتتوّج كل الذبائح. وهذا مهم لاهوتيًا: فبعد ذبيحة المحرقة يستطيع الإنسان وعائلته أن يُقدِّما ذبيحة الشكر. (ع. ١١) «**طعام**» وقود للرب («ل ح م» أو «خبز»)، إشارة إلى أنها ذبيحة قديمة العهد وبقيت بين الذبائح، لكن المترجم إلى السبعينية حذف الكلمة ووضع مكانها «رائحة سرور»، لأن حصّة الرب من الذبيحة ليست مادية، بل تُمثَّل بدخان المحرقة الذي كان يصعد إلى الأعلى كالبخور لأنها ذبيحة سلامية (را. خر ٢٩: ١٨ وما يليه؛ مز ٥٠: ١٣؛ دا ١٤). (ع. ١٦) «**كل الشحم للرب**» للإشارة إلى أنها تُحرق، وبأنها كاملة للرب، لا يمكن الاشتراك فيه كما ظن البعض (قارن ١صم ٢: ١٢-١٥)، وهي «فريضة دهرية» يجب حفظها للأجيال القادمة: لا يأكلوا شيئًا من الشحم أو الدم (قارن لا ٧: ٢٦-٢٧؛ ١٧: ١٠؛ ١٩: ٢٦؛ تث ١٢: ١٦، ٢٣؛ ١٥: ٢٣). وهذا تأكيد إضافي على ما سبق بأن الشحم لا يشترك به أحد. وجدير بالذكر بأن ذبيحة السلامة هي الذبيحة الوحيدة التي يشترك فيها العابدون كاملًا، عدا الشحم. لأن المشاركة تحرر بركات الله على المقدِّمين وترفع عنهم الحزن. وبالتالي تقديم الحمام، الذي لم يُذكر هنا، سيكون غير قابل للمشاركة بسبب حجمه الصغير. ولا تظهر ذبيحة السلامة في العهد الجديد بشكل مباشر لكن صورها موجودة بين النصوص (مت ٩: ١٣؛ ١٢: ٧؛ أع ٢١: ٢٣-٢٦؛ رو ١٢: ١؛ عب ١٣: ١٥-١٦) وربما تشير إلى الوليمة التي يتناولها المؤمنون معًا بفرح (أع ٢: ٤٥-٤٧) وقبل العشاء الرباني (١كو ١١: ١٧-٣٤)، للاشتراك في الخبز والخمر وحضور المسيح بالروح القدس، تمامًا كما كان حضور الله مع المشتركين في الوليمة الاحتفالية في ذبيحة السلامة. أما شرب الدم الذي كان محرمًا لأنه مخصص للرب، ورمز للحياة، فقد أصبح باستطاعة المؤمنين شرب كأس الخلاص والشركة مع الآب في وليمته المقدسة في الافخارستيا.

٤: ١-٥: ١٣ طقوس شريعة التطهير - ذبيحة الخطية يعرض الفصلان ٤ و٥ وجزء من الفصل ٦ ذبيحتين أساسيتين: ذبيحة الخطية وذبيحة الإثم. من أخطأ عليه أن يقدّم إحدى الذبيحتين ليبقى عضوًا في جماعة العهد. وتُكفِّر الذبيحة هنا عن خطايا السهو غير المقصود. أما نوع الذبيحة والتعويض يعتمدان على مكانة المخطئ؛ كلما علت مكانته، ازدادت المسؤولية وغيّرت من رتبة الذبيحة. ونتناول في هذه الفقرة **ذبيحة الخطية** («خ ط ا ث»، ٤: ١-٥: ١٣؛ را. ٦: ٢٤-٣٠) وهي متدرجة تبدأ بطهارة الكاهن الممسوح (٤: ١-١٢)، وذبائح عن خطية كل جماعة بني إسرَإيل («ك ل-ع د ث/ ي س ر ا ل»، ٤: ١٣-٢١) للطهارة الرفيعة، حيث يُرشُّ دم الذبيحة في داخل المكان المقدس أمام حجاب المقدس وعلى قرون المذبح، ويُؤخذ جسم الذبيحة إلى مكان طاهر خارج المحلة ليُحرق. وهناك الذبائح للطهارة الأدنى عن خطايا الزعيم («ن س ي ا»، ٤: ٢٢-٢٦)، وعن خطية الأفراد من عامة الشعب («ن ف ش/ ا ح ث»، ٤: ٢٧-٣٥)، بالإضافة إلى ذبائح لأربع حالات عن أخطاء متنوعة (٥: ١-١٣).

(ع. ١) «**سهوًا**» (ش ج ج ا)، وهي الأخطاء التي تُرتكب عن جهل وبغير عمد (را. عد ١٥: ٢٢-٣١؛ مز ١٩: ١٢؛ وقارن تث ١٩: ٤-٥). أي إنَّ المشرّع فسح المجال لحكم الضمير أمام المذنب. (ع. ٣-٧) «**الكاهن الممسوح**»، نادرة وقد وردت فقط هنا (ع. ٥، ١٦؛ ٦: ٢٢)، وهي اسم آخر للكاهن الأعظم (٢١: ١٠؛ عد ٣٥: ٢٥، ٢٨؛ يش ٢٠: ٦) أو الكاهن الرئيس (٢مل ٢٥: ١٨؛ ٢أخ ١٩: ١١؛ ٢٤: ١١؛ عز ٧: ٥). لا يقول النص صراحة إذا أخطأ عظيم الكهنة لكنه يشير إلى ذلك ضمنًا. وتبدو أنها خطية «خطرة» لأن عظيم الكهنة يمثّل كل الجماعة أمام الله، فأي خطأ منه سيُحسب على كل الشعب

www.christianlib.com

أيضًا، ولا يستطيع أحد عندها أن يقودهم إلى الله. لذلك عليه أن يكفّر عنها سريعًا. وكلما كبر مقام المخطئ كبر التعويض، فيُقدِّم ثورًا عن نفسه لا عيب فيه. وهو الحيوان الوحيد الذي يستطيع أن يقدمه ليكفّر عن خطاياه، التي على الأرجح، يعترف بها حين يضغط بيده على رأس الثور (قارن ١: ٤). كما يذبح الكاهن الأعظم الثور بنفسه عند «باب الخيمة» كسائر الذبائح (لا ١-٣) لكنه يأخذ دمه إلى داخل قدس الخيمة وينضح بإصبعه لدى «**الحجاب**» («پ ر ك ث») سبع مرات إشارة للتكفير الكامل. يفصل الحجاب القدس عن الأقداس في الخيمة. أي يقوم الكاهن برشّه من خلف الستار باتجاه «غطاء تابوت الشهادة» (ك ف ر ث) الذي يوضع فوق تابوت العهد داخل قدس الأقداس. كما يضع من الدم على قرون مذبح البخور الذي يقع في قدس الخيمة أمام الحجاب (لكن قارن خر ٢٦: ٣١-٣٥؛ عب ٩: ٣-٤؛ ورا. ٣٠: ١-١٠، ٢٧؛ ٣١: ٨؛ ٣٥: ١٥؛ ٣٧: ٢٥-٢٨؛ ١أخ ٦: ٤٩؛ ٢أخ ٢٦: ١٦، ١٩). إنّ البخور يُحرق يوميًا إشارة إلى الصلوات التي تصعد إلى الرب (قارن مز ١٤١: ٢). أما سائر الدم فيصبه في «**أسفل مذبح المحرقة**» فقط للتخلص منه، وليس في ذلك طقس معين. (ع. ٨-١٠) ينزع الكاهن كل الشحم من الذبيحة (قارن ٣: ٣-٥) ليوقده على مذبح المحرقة. وغابت عبارة «يكفّر عنهم» لأن الكاهن يقدم عن نفسه (را. ع. ٢٠، ٢٦، ٣١، ٣٥). (ع. ١١-١٢) أما جلد الثور وكل لحمه مع رأسه وأكارعه وأحشائه وفرثه فيحرق في «**مرمى الرماد**» على حطب (را. ١: ١٦) خارج المحلة في مكان مخصص لذلك. إن تفصيل حرق الجلد وغيره، على الأرجح، يفيد بضرورة التخلص منها بطريقة صحيحة حتى لا تستخدم أجزاؤها المقدسة من أي إنسان فينجسها؛ وأيضًا حتى لا يستفيد الكاهن من ذبائح خطاياه. بالطبع، كما وجدنا في ذبائح السلامة، هو يستطيع المشاركة في ذبائح أخرى تعتبر أقل طهارة. (ع. ١٣) «**أُخفي أمرٌ**»، لا يوجد تحديد للخطية التي قامت بها جماعة إسرَإيل، كما كانت محددة في الخروج مثلًا (خر ٣٢)، وهي خطية سهو أو إغفال عن أمرٍ مَا لا على التعيين. أي أن العابد يدعو الرب من طواعيته ليخرج عن خطيئته ويتكل عليه تعالى. كذلك تدرك الجماعة، أو «مجمع» الناس، وهي كلمة تستخدم للتجمع للعبادة بشكل خاص (تث ٥: ٢٢؛ ٩: ١٠؛ ١مل ٨: ٢٢، ٦٥)، بأنها مذنبة بحق الإله. وهذا أساسي في صلوات الاعتراف الجماعية التي تمارسها الكنائس في عباداتها. إن الاعتراف إقرار مستمر بالخطية بواسطة النعمة التي ينتصر بها المسيحي. (ع. ١٥-٢١) «**شيوخ الجماعة**»، ممثلي الأمة، كما اختار موسى مساعدين له (خر ٢٤: ١؛ عد ١١: ١٦-١٧)، فيضعون أيديهم فوق رأس الثور بدل كل الجماعة. لأن الجماعة واحدة في العهد، وعظيم الكهنة واحد منهم. «**يُكفِّرُ عنهم**» (ك ف ر)، «**فيُصفَحُ عنهم**» (س ل ح)، أي يصفح الله عنهم. إن كلمة «كفَّر» من أكثر الكلمات الجدلية (انظر أيضا لا ١٦). والمعنى اللغوي المباشر (لسان العرب) يأتي بمعنى «غَطَّى» و«سَتَر» و«طَلَى»، وسُمي كافر لأنه يجحد نعم الله عليه ولا يقرّ بها، بل يسترها أو يمحيها (را. إش ٢٨: ١٨). وأتت بمعنى «طلى» (تك ٦: ١٤). و«كَفَرَ» على شاكلة «غَفَرَ» وتستخدم مكانها خاصة عندما ترتبط بالخطايا (انظر تث ٢١: ٨؛ مز ٧٨: ٣٨؛ ٧٩: ٩؛ حز ١٦: ٦٣). وقد تأتي بمعنى قدَّم «هدية» أو «ثمنًا» أو «فدية» تُعطى أو تُدفع (خر ٣٠: ١٥-١٦؛ قارن مز ٧٦: ١١؛ إش ١٨: ٧؛ ٤٥: ١٣؛ مر ٧: ١١). لكن «الهدية» (م ن ح ه) أو المنحة، قد سبق ومرّت في ذبيحة التقدمات (لا ٢؛ انظر تك ٣٢: ٢٠-٢١)، إنها استعطاف الوجه واسترضاء الله، ليس بمعنى الرشوة، بل لإزالة الذنب الذي يحمله المخطئ. فالتكفير لا يجبر الله على الرضى. لا قيمة لأي تكفير حقيقي دون الاستعداد الداخلي. كما قد وردت الكلمة «كفّر» في إطار تهدئة غضب الله وغيرته (عد ٢٥: ١٣؛ مز ٧٨: ٣٨؛ ٧٩: ٩؛ أم ١٦: ١٤) لأن الخطية تثير غضبه، لكن هنا في هذا الفصل لا يوجد ذكر لغضب الله (انظر إش ٥٤: ٧-٨). إلا أن التكفير لا يخصّ الإنسان وحده، بل يُمارسُ أيضًا للمعبد والأشياء التي فيه (لا ١٦: ٢٠، ٣٣؛ حز ٤٣: ٢٠، ٢٦؛ ٤٥: ٢٠). وبالتالي لا تحتوي عملية التكفير على قوى ذاتية تعمل لتطهير الأشياء بمجرد ممارستها، لأن الله هو المانح، لا الممارسة بحد ذاتها (انظر تث ٢١: ٨؛ حز ١٦: ٦٣). تكفير في اللاويين، بشكل عام، تأتي بمعنى أزال النجاسة الناتجة عن الخطية (لا ١٢: ٧؛ ١٤: ٢٠، ٥٣؛ را. عد ٨: ٢١؛ خر ٢٩: ٣٦). إنه كتنظيف الجرح، إن جاز التعبير، لكي يتم الشفاء ويحصل الإنسان على القربى. هي أيضًا لإزالة الذنب الذي تحمله نفس المذنب (لا ١٧: ١١؛ قارن عب ٩: ٩؛ ١٠: ٢). إذا كفَّر الكاهن في ع. ٢٠ فهذا يعني أن عظيم الكهنة يتشفَّع ويصلي لأجلهم، وعليه فإن المسيح أيضًا يتشفَّع لأجلنا (عب ٧: ٢٥؛ ٩: ٢٤) كرئيس الكهنة؛ كما أن موته كان ذا قيمة شفاعية (عب ٥: ٧). أما الدم فيمثل الحياة، وهو الذي يكفّر (لا ١٧: ١١)؛ إنها حياة مقابل حياة، لأن الخطية تؤدي إلى الموت وتقطع العهد مع الله. (ع. ٢٢-٢٦) «**رئيس**» أو زعيم (ن س ي ا). في حزقيال يستخدم كلمة «رئيس» ليشير إلى رئيس مملكة داود (٣٤: ٢٤؛ ٣٧: ٢٥؛ ٤٥: ٧، ١٦-١٧... وما يليه)، لكن هنا على الأرجح تعني رئيس قبيلة أو زعيم. وتستخدم أحيانًا للرؤساء الغرباء (٢٦: ١٦؛ ٢٧: ٢١؛ ٣٢: ٢٩؛ لكن انظر ٣٧: ٢٥). الكاهن، لا عظيمهم، يُقدِّم الذبيحة، لأن «الرئيس» هنا ليس الملك، ويكفّر عنه. ولا تعليمات للتخلص من بقايا المحرقات، لأن اللحوم تذهب للكاهن، كونه لا يشترك في خطية الزعيم. (ع. ٢٧-٣٥) «**من عامة الأرض**» (ع م/ ه ا ر تص)، لا تعني هنا غير اليهود، بل أحد من جماعة إسرَإيل (قارن إر ١: ١٨؛ حج ٢: ٤؛ زك ٧: ٥)، وفي العهد الجديد تعني غير

www.christianlib.com

المتعلم من عامة الناس (أع ٤: ١٣). وللمُقدِّم خياران: إما تضحية «أنثى» الماعز، وهي أقل قيمة، لكنها تامة، وأوفر على عامة الشعب تأمينها، خاصة إذا كانوا من الرعاة. أو أن تكون من أنثى الضأن، وهي أيضًا صحيحة لا عيب فيها، كما يُمسح دمها على قرون المذبح كباقي الذبائح.

٥: ١-١٣ أربع حالات لذبيحة الخطية، «صوت حَلْف»، أي سمع صوت دعوة إلى الشهادة في قضية، وهو شاهد أو عالِم بالقضية، ولم يُخبْ بها، فإنه يتحمّل عاقبة ذنبه. يَعتمدُ أمان الجماعة على كل فرد فيها حين لا تكون هناك شُرطة. كما أن عدم إخبار قادة الجماعة بأخطاء الأفراد يعرضهم للخطر. في حال «**مسَّ.. نجسًا**» من الحيوانات أو من إنسان وأُخفيَ عليه أو نسي ذلك، لأن التنجّس أمر يومي في الحياة، فهو أيضًا مذنب، وخطر أن يبقى بلا تطهير. وإذا حلف في أمر «**مفترطًا**»، أي من غير رؤية، متسرّعًا، سواء أحسن أو أساء، للخير أو للشر، فهو «مذنب» وآثمٌ (أ ش م)، لأن الحلف أتى من الحماسة لا من التفكير والتأني. وحَالما يعي الإنسان إثمه ونجاسته، يُقدِّم ذبيحة التطهير عن نفسه. «**يُقرُّ بما قد أخطأ به**»، المقصود اعتراف علني أمام الجماعة. ويقدِّم «**أنثى**» من الغنم، وإن لم تنل يده كفاية فيأتي بذبيحة يمامتين أو فرخي حمام؛ أي حتى على الفقراء تكميل واجبهم لأنهم خطاة، مثلهم مثل أي فرد من بني إسرَائيل. واستخدمت هنا «أ ش م» كغرامة أو جزاء. لماذا فرخي حمام وليس فرخًا واحدًا؟ لم يُعطَ الشرح لذلك، ربما لأن دم الطير الواحد غير كاف لنضحه على حائط المذبح، أو ربما يُعطى الطير الثاني للكاهن. وإذا كان المقدِّم لا يستطيع تقديم الحمام، جلب «**عشر الإيفة من الدقيق**» وهي أصغر تقدمة وُصفت (قارن ٦: ٢٠؛ عد ٢٨: ٥) ولا يوجد معها هنا زيت أو بخور كما في ٢: ١-٢. هي تقدمة متقشفة. «**يكون للكاهن كالتقدمة**»، أي ما تبقى يكون جزءًا من أجره.

مع كون الخطايا لم تكن في تعدي وصايا الرب، لكنها تبقى مصدرًا للنجاسة لرئيس الكهنة أو لأحد الناس العاديين. على الكل أن يقدم ذبيحة التطهير، وكل الخطايا على أنواعها ومستوياتها مؤذية، بما فيها أخطاء السهو. لكن هذا لا ينكر مسؤولية الإنسان في أخطائه. الأخطاء الصغيرة تنجس الهيكل أيضًا، وهي كالثعالب «تفسد الكروم» (نش ٢: ١٥؛ قارن مت ١٢: ٣٦) وتدنس هيكل الله الذي هو الإنسان (أف ٤: ٣٠؛ ١تس ٥: ١٩). وكذلك دم المسيح قادر على تطهير كل خطية، لا شكل واحد منها. فإذا اشترك المؤمنون في جسد المسيح ودمه يجعلهم طاهرين مهيئين للحياة الأبدية. لكن الاعتراف بالخطية أساسي لذلك، والمسؤولية مطلوبة أكثر (لو ١٢: ٤٨) لأن الدينونة أعظم.

٥: ١٤-٦: ٧؛ را. ٧: ١-١٠ شرائع التعويض - ذبيحة الإثم في حال نَجَمَ ضرر عن أخطاء الإنسان فلا يكفي تقديم الذبيحة بل عليه التعويض (ش ل م)، أو كما يسميها ٢مل ١٢: ١٦ «فضة ذبيحة الإثم». ويُقدَّم التعويض للهيكل (٥: ١٤-١٩) سواء «**أخطأ سهوًا في أقداس الرب**» (٥: ١٤-١٦)، أم عمل أيًا من «**مناهي الرب**» (٥: ١٧-١٩)؛ وهناك تعويض للآخرين أيضًا (٦: ١-٧). وقد دَمجت الترجمة اليسوعية ٦: ١-٧ مع الفصل الخامس نظرًا لتناولها شرائع التعويض. «**يزيد عليه خمسه**»، أي إنَّ مقدار التعويض ٢٠٪ من ثمن الكبش يضاف على قيمة الضرر، وبالتالي لا يستطيع المخطئ تقديم أي كبش متوفر لديه، وبالتالي صار للذبائح أسعار، الأمر الذي خلق سوقًا في الهيكل للصيارفة وبيع المواشي (قارن مر ١١: ١٥؛ يو ٢: ١٤). كما يمكن أن يُدفع ثمن الكبش للهيكل كاملًا. «**لم يعلم**»، دون انتباه أو عن جهل. ولا يحدد هذا الخطأ. هناك أغراض تخص الكهنة (الرب) وهي مقدسة ولا يجوز العبث بها أو استخدامها في غير مكان، وإلاّ فيكون قد «**خان خيانة بالرب**» وهو تعبير يستخدم أيضًا عن الخيانة الزوجية لوصف من نقض العهد (عد ٥: ٦، ١٢، ٢٧؛ انظر ٢أخ ٢٦: ١٦-١٨؛ حز ١٥: ٨؛ نح ١: ٨). لكن المشرّع يعود ويحدد ثلاثة أخطاء: «**جحد صاحبه**»، أنكر عليه أمانة أو وديعة (حساب مصرفي في لغة اليوم)، كان قد وضعها عنده بسبب سفره، أو مسلوبًا (على الأرجح من غنائم الحرب) أو رهنية تركها مقابل قرض، واستولى على ممتلكات صديقه بالغش والاحتيال (ك ح ش) نوع من أنواع اللصوصية والاغتصاب، مثل عدم دفع حق الأجير (١٩: ١٣؛ تث ٢٤: ١٤-١٥)؛ «**وجد لُقطة**»، أي أنكر غرضًا وجده يخص شخصًا آخر و«**حلف كذبًا**». عادة ما تُجرى معاملات القضايا التي لا يستطيع الحاكم أن يدين الجاني بسبب عدم توفر الدليل فيها تحت القَسَم. كان الاعتقاد بأنّ القَسَم يجلب لعنة في حالة الكذب، وهي خيانة تجاه الرب الذي حلف أمامه باطلًا (را. خر ٢٠: ٧). وتقديم الذبيحة مع التعويض بعد الاعتراف يعني أن المذنب يرغب في المصالحة مع الله ومع قريبه. «**بتقويمك**»، أي بما يقيّمه الكاهن للتعويض (قارن ع. ١٥-١٦).

تأخذنا شرائع التعويض إلى قول المسيح: «اذهب أولًا واصطلح مع أخيك» (مت ٥: ٢٣-٢٤) فالمصالحة ضرورية بين الفرقاء كي يقبل الله التقدمات من الإنسان. وإذا غفر الإنسان زلات الآخرين يغفر له أبوه السماوي زلاته (مت ٦: ١٤)، وها هو زكا العشار أيضًا يرد لمن أساء له أضعافًا، لا بل أكثر مما تطلبه الشريعة. إنه جواب للنعمة التي دخلت حياته وشعر بها، لا لأن أحدًا طلب منه ذلك، بل لأن النعمة تأخذ الإنسان الذي اختبرها أبعد من الناموس. تطلب منه أن يسير في ناموس المحبة والعطاء الكامل، ناموس المسيح (لو ١٩: ٨؛ غل ٦: ٢).

٦: ٨-٧: ٣٨ إرشادات إضافية ترد هنا بعض الإرشادات

www.christianlib.com

الإضافية للذبائح السابقة: المحرقة والتقدمة والإثم والسلامة، خاصة بما يتعلق بحصص الكاهن منها. وهي إما موجهة إلى هارون وبنيه (ع. ٩، ٢٥) وإما إلى بني إسرَإيل (٧: ٢٣، ٢٩)، إضافة لكونها تتناول طقوس تنظيف المذبح (٦: ١٠-١١) وإبقاء ناره مشتعلة. (٦: ٩) **«كل الليل»**، يبقى مذبح المحرقة مشتعلاً دائمًا، وهي علامة على الصلاة المستمرة. هناك محرقة يومية في الصباح، وتقدمة مسائية (را. ١مل ١٨: ٢٩)، أو محرقة مسائية عوضًا عن التقدمة (حز ٢٩: ٣٨-٤٢؛ عد ٢٨: ٣-٨). (ع. ١٠) **«يلبس سراويل»**، على الأرجح لئلا تظهر عورته وهو صاعد لأعلى المذبح، أو خلافًا للكهنة الأمم الذين كانوا يتعرون أحيانًا في عبادتهم نظرًا لارتباطها بالجنس. يغيّر لباسه حتى لا ينجس لباسه المقدس عندما **«يرفع الرماد»**. على الكاهن تنظيف المذبح من مخلفات المحرقات. (ع. ١٣) **«نار دائمة»**، وتسمى «التقدمة الدائمة» (عد ٤: ١٦؛ نح ١٠: ٣٣) فعلى الإنسان أن يستمر دائمًا في صلاته ورجائه وحفظ الشريعة (مز ١١٩: ٤٤). وبعد أن يوقد الكاهن مقدار قبضة من دقيق التقدمة، يأخذ الباقي ويأكله فطيرًا (ع. ١٦) في الخيمة (لا في بيته) في مكان مقدس. (ع. ١٨) **«كل من مسَّها يتقدس»**، أي إنَّ تقدمة الدقيق حقٌّ لكل أبناء هارون وأجيالهم، وبها يستمر تقديسهم، كونها بلا خميرة، علاوة على تكريسهم. نحن نعرف بأن النجاسة تنتقل بين الأشياء بواسطة اللمس، لكن هنا القداسة هي التي تنتقل وتصير معدية (را. ع. ٢٧). (ع. ٢٠-٢٣) يقوم رئيس الكهنة في يوم تكريسه بتقديم عُشْر إيفة من الدقيق، نصفها في الصباح ونصفها الثاني في المساء. يعود ويقول عن تقدمة مسح هارون بأنها «دائمة». فهل نحن أمام تقدمة واحدة لتكريس عظيم الكهنة أم اثنتين، واحدة له وأخرى **«دائمة»**؟ إنّ وجود ذبيحتين هنا يساعدنا على مقاربة طقوس ذبيحة التقدمة لمسح هارون في ٨: ٢٦-٢٨ (وهي مخصصة تمامًا لمسح رئيس الكهنة). **«توقد بكاملها»**، أي لا يشارك الكهنة في أكلها، بل كلها للرب. (ع. ٢٤-٣٠) وهي ذبائح الخطية للتطهير (را. ٤: ١-٥: ١٣). **«يأكلها»** الكاهن داخل الخيمة، إشارة إلى قبول الله لذبيحة الخطية كون الكاهن يمثل يهوه. والقدر الذي تطبخ فيه اللحوم يُكسر إذا كان من الفخار، وينظف بالماء إذا كان من النحاس، على الأرجح للاعتقاد بأن شيئًا مما بقي يعلق في الفخار مهما نُظِّف، لكنه لا يعلق في النحاس.

الذبائح

الذبيحة هي نوع من العبادة ذات أصل قديم جدًا واستعمال واسع الانتشار عند كل الشعوب منذ القديم مثل الشعوب السامية، اليونان، الرومان، الأفريقيين وقبائل الفيدا الهندية. لكن أصل ونشأة تقديم الذبائح أمر به الكثير من الغموض لأنه ببساطة يرجع لعصور ما قبل التاريخ فحتى عندما يسجل لنا الكتاب المقدس في سفر التكوين حقيقة تقديم أشخاص بعينهم ذبائح لا يقدم لنا شيئًا عن كيف بدأت. فالبعض يرى أن الذبائح نشأت كوسيلة للسماح بأكل اللحوم لأن مشاركة اللحم مع الإله- حسب اعتقادهم- يسمح للناس أن تذبح الحيوانات لكي تأكلها.

وتأتي أقدم الدلائل الأثرية على الذبائح من مذابح حقبة العبيد في الألفية الرابعة قبل الميلاد في بلاد ما بين النهرين. حتى أنه عبر معظم التاريخ الأشوري والبابلي كان يتم تنفيذ الذبح الطقسي للحصول على أحشاء الحيوان التي كان يعتقد أنها تأتي بالفأل الحسن. أما في مصر الفرعونية فكان فرعون باعتباره ممثلاً للشعب المصري أمام الآلهة كان يعتبر رئيس الكهنة الوحيد لآلهة مصر. وهذا يفسر لنا وجوده الدائم في العديد من المشاهد المرسومة على جدران المعابد يقدم القرابين للآلهة ولكن عمليًّا كان رؤساء الكهنة من البشر يقومون بهذه الخدمة ولا يقوم بها فرعون بنفسه إلا في الأعياد الكبرى؛ فمثلا كان «رمسيس الثاني» يقوم بالخدمة في الاحتفال بعيد الإله آمون في طيبة في بداية حكمه وقبل تعيين رئيس كهنة جديد لآمون.

وقبل الدخول في العديد من التفاصيل يجب التمييز بين ثلاثة مصطلحات هي القربان، الذبيحة، العشور أما كلمة «قربان» فهي تشير إلى العديد من مجالات العطايا والهبات للرب وهي أشمل وأوسع لتستوعب في داخلها الذبيحة لأن الكلمة «ذبيحة» **(ز ب ح)** مرتبطة بكلمة **(م ز ب ح)** (مذبح) وكل من الكلمتين ترتبط بالفعل العبري الذي يعني «يذبح». فقط ثلاث مجموعات من القرابين يمكن اعتبارها ذبائح وهي قربان الخطية، الإثم، المحرقة لذا يمكن القول إن كل الذبائح قرابين لكن ليس كل القرابين ذبائح، أما «العشور» فهي واحدة من قرابين التوزيع التي ألزم بها شعب إسرَإيل وقد ارتبطت بمجموعة من القواعد الصارمة (لا ٢٧: ٣٠-٣٣؛ عدد ١٨: ٢١-٣٢؛ تث ١٤: ٢٢-٢٩، ٢٦: ٢-١٥). وبعد المقدمة السابقة يمكن الحديث في نقطتين أساسيتين أولًا لماذا تُقَدم الذبائح؟ وثانيًا الذبائح في الكتاب المقدس.

أولًا: لماذا تُقَدم الذبائح؟

ظهرت عبر التاريخ عدة محاولات لتفسير سبب شيوع هذا الأمر بين العديد من الشعوب يمكن بلورتها فيما يلي:

يعتقد البعض إنها من ابتكار الإنسان في سعيه لتكوين علاقة طيبة مع الإله والتمتع بعفوه ورضاه أو لتقديم الإجلال والتكريم له أو لاستعادة هذه العلاقة في حالة فقدانها لأي سبب من الأسباب. فهي ببساطة وسيلة بشرية للاقتراب إلى الإله ومن هنا جاءت كلمة «قربان».

www.christianlib.com

ويرى البعض الآخر أنها من بقايا العبادات الطوطمية التي تؤمن بوجود روح الإله في حيوان ما وعندما يأكل العابد من الذبيحة فهو بذلك «يأكل الإله» وبالتبعية يكتسب في نفسه كل الصفات الجسدية والأدبية والعقلية التي للإله الذي في الذبيحة حتى وصل الأمر بالبعض أن يشرب العابد دم الذبيحة وبذلك يمتص حياة الإله.

بينما يفسر علماء الكتاب المقدس ذلك بأنه أمر قرره الله نفسه منذ بداية تعامله مع الإنسان ويبنون ذلك على ما جاء في تك ٤: ٣، ٤ عن قرابين قايين وهابيل وربطها مع عب ١١: ٤ مما يعلن أن الإيمان هو الذي جعل ذبيحة هابيل مقبولة أمام الله ويصل العلماء من هذا إلى استنتاج أن هذا الإيمان مبنيٌ على وصية محددة من الله كان قد أوصى بها من قبل، بل يخطو العالم اللاهوتي Fairburn في كتابه «رموز الكتاب» خطوة أكثر جرأة ليؤكد أن الجلود التي ألبسها الله لآدم وحواء ليستر عريهما كانت جلود ذبائح قدمت عنهما ولا يوجد بوضوح ما يمكن أن ينفي هذا الاستنتاج.

ثانيًا: الذبائح في الكتاب المقدس

تقع القرابين والذبائح وفق تعليمنا الكتابي في قلب تاريخ الفداء. لذا فأية محاولة لاهوتية للتغلغل في أسرار المصالحة، الكهنوت، الأخيريات تفترض مسبقًا فهمًا مناسبًا لما يتطلبه الله من شعبه قبل وبعد المسيح. فيما يختص بقبل المسيح كان العنصر المميز للذبيحة في العهد القديم هو الرغبة في استعادة الإنسان الخاطئ لعلاقة جيدة مع الله وبذلك تكون الذبيحة لإتمام كفارة (خر ٣٠: ١٠؛ لا ١: ٤، ٤: ٢٠... وما يليه)؛ فكلمات مثل الدم، الحياة تعطي لنا مفاتيح هامة لفهم معنى ذبيحة العهد القديم لأن موت الضحية في هذا السياق يتم النظر إليه كضرورة اضطرارية؛ لأن هذا هو الطريق الوحيد لنوال الحياة فعندما تتنجس حياة مُقدم الذبيحة بالخطية يقدم الله بديلاً من الحياة الطاهرة بلا تلوث في الحيوان الذي يقدم كذبيحة.

وقبل الدخول في تفاصيل أنواع ذبائح العهد القديم من الأفضل التعرض للمحة سريعة عن أربعة نظم رمزية متضمنة في كل أنواع الذبائح في التشريع السينائي:

أ. الملح، يقدم مع كل أنواع الذبائح (لا ٢: ١٣؛ حز ٤٣: ٢٤). وجد ما يعرف «عهد الملح» (عدد ١٨: ١٩؛ ٢أخ ١٣: ٥) وهو عهد دائم.

ب. الشحم، ليس لكي يؤكل سواء بواسطة الكهنة أو بواسطة العابدين لكن لكي يتم حرقه على المذبح كجزء من نصيب الرب (لا ٣: ١٦-١٧، ٧: ٢٢-٢٥) هذا ربما لأن الشحم كان يعد أفضل جزء في الجسد. ويستخدم تعبير «شحم القمح» أو «دسم لب الحنطة» مجازيًا ليشير إلى أفضل حنطة (تث٣٢: ١٤؛ مز٨١: ١٦، ١٤٧: ١٤).

ج. وضع الأيدي وهو وضع مقدم الذبيحة يديه على رأس الذبيحة قبل ذبحها (لا ١: ٤، ٣: ٢، ٤: ٤... إلخ). وهي تشير إلى معنيين الأول هو الحيوان يمثل العابد (قربان المحرقة) والثاني هو الحيوان بديل للعابد (قربان الخطية). ونجد المعنيين في قربان السلامة وبالنسبة لذبيحة المحرقة (حيوان ذكر يتم حرقه بالكامل على المذبح ماعدا جلده) ثبت أن هناك شعوبًا أخرى غير إسرَإيل قدمت هذا النوع من الذبائح مثل ما سجله سفر العدد ٢٣: ١٤، ١٥ ومثل ما تشهد به نصوص من سوريا (أوغاريت، الأناضول) بينما لا توجد بعد أية دلائل على وجود مثل هذا النوع من الذبائح في مصر أو في بلاد ما بين النهرين. والتأكيد على عدم أكل الدم (تك ٩: ٤).

والآن يمكن التقدم إلى تفاصيل الذبائح في العهد القديم والتي بدورها تنقسم إلى قسمين هما قبل عصر موسى وبعده أما بالنسبة لما قبل عصر موسى فكما ورد سابقًا أول ما نقرأ عنها نقرأ عن ذبيحة هابيل وقبول الله لها. ثم نطالع عن نوح وتقديمه لذبيحة بعد خروجه من الفلك (تك ٨: ٢٠، ٢١). ولا يوجد ما يؤكد أن إبراهيم قدم ذبائح في أور الكلدانيين أو في حاران لكن نجد في تك ١٢: ١٧ إنه بعد وصوله شكيم بنى هناك مذبحًا للرب وأيضًا في كل من بيت إيل وبلوطات ممرا (تك١٢: ٨؛ تك١٣: ٨) وأيضًا عندما قطع الرب معه ميثاقًا (تك ١٥: ٩، ١٠، ١٨) ولا يمكن أن نغفل الحادثة الشهيرة في تك ٢٢ عندما أوشك أن يقدم اسحق ابنه محرقة (تك ٢٢: ١١-١٣ مع عب ١١: ١٧-١٩).

ويسجل الكتاب المقدس أيضًا أسماء أخرى قدموا ذبائح على سبيل المثال أيوب، إسحاق، يعقوب، يثرون (أي ٤٢: ٧- ٩؛ تك ٢٦: ٢٥، ٢٨: ١٨، ٣١: ٥٤، ٣٥: ٧، ٤٦: ١؛ خر ١٨: ١٢). وكل ما سبق يؤكد أن الذبائح (وقبل تشريعها) كانت جزءًا أساسيًا وأصيلاً في العبادة في كل العالم القديم.

أما في عصر موسى الذي كان دوره الأساسي هو إتمام العهد بين الله وإسرَإيل الأمر الذي تم عند جبل سيناء وكان أساس هذا العهد هو الطاعة فجاءت شرائع الذبائح لتعبر عن هذه القيمة فلا معنى لذبيحة بدون طاعة (إر ٧: ٢١، ٢٢). وكانت ذبيحة العهد هي أول الذبائح في عصر موسى (خر ٢٤: ٣- ٨) والتي تقود إلى حقيقة أن الشعب أصبح بعد الذبيحة قادرًا على الاقتراب إلى الله في علاقة حية. ثم أقيمت في مرحلة لاحقة خيمة الشهادة كما أمر الرب موسى لتكون مركزًا لعبادة كل الشعب وتم ذلك في اليوم الأول من الشهر الأول من السنة الثانية لخروج بني إسرَإيل من مصر وأعطى الرب موسى الأوامر بخصوص الذبائح المتنوعة التي يجب تقديمها له في الخيمة وكانت جميعها للتكفير عن نفوسهم (لا ٧: ١١).

وسنتعرض لسرد مُرَكَّز ومختصر لهذه الذبائح حسب ترتيبها الإلهي والتي تبدأ بما يختص بمجد الله وتنتهي بما يختص بحاجة الإنسان حيث تبدأ بذبيحة المحرقة وتنتهي بذبيحة الإثم (لا ١: ١، ٦:

www.christianlib.com

٧) وهي هكذا على التوالي:

ذبيحة المحرقة: وكانت أساس كل الذبائح حتى أن المذبح النحاسي يسمى «مذبح المحرقة» (خر ٣٥: ١٦، ٤٠: ٦). وكانت نارها تتقد ليلًا ونهارًا.

وذبيحة السلامة: وكانت تقدم تعبيرًا عن الشكر لله والاعتراف بفضله وإعلانًا عن الشركة معه.

وذبيحة الخطية وكانت تقدم للتكفير عن خطايا السهو أو الجهل عند اكتشاف الخطأ وأيضًا إذا سمع أحد حلفًا ولم يخبر به أو إذا مس شيئًا نجسًا عن غير وعي (لا ٥: ١-٤).

ذبيحة الإثم: وكانت تقدم للتكفير عن الإثم باعتباره تعديًا على أحكام الله وكان يلزم صاحبها التعويض وعلى سبيل المثال إذا خان أحد خيانة أو أخطأ سهوًا في أقداس الرب أو إذا جحد أحد أصحابه وديعة أو أمانة أو مسلوبًا أو إذا اغتصب رجل أمة مخطوبة. ويمكن تبويب الذبائح وفق مناسبات تقديمها كما ترد في الجدول الآتي:

الحيوانات التي تقدم	عجل	كبش	خروف	ماعز
١- مناسبات القرابين				
أ- يوميًا (صباحًا ومساء)			٢	
ب- قرابين إضافية في السبت			٢	
ج- أول الشهر	٢	١	٧	١
٢- الأعياد السنوية				
أ- (قربان يومي)	٢	١	٧	١
إجمالي لسبعة أيام	١٤	٧	٤٩	٧
ب- عيد الأسابيع (يوم الباكورة)	٢	١	٧	١
ج- اليوم الأول من الشهر السابع	١	١	٧	١
د- يوم الكفارة	١	١	٧	١
هـ- عيد المظال				
اليوم الأول	١٣	٢	١٤	١
اليوم الثاني	١٢	٢	١٤	١
اليوم الثالث	١١	٢	١٤	١
اليوم الرابع	١٠	٢	١٤	١
اليوم الخامس	٩	٢	١٤	١
اليوم السادس	٨	٢	١٤	١
اليوم السابع	٧	٢	١٤	١
اليوم الثامن	١	١	٧	١
إجمالي الـ٨ أيام	٧١	١٥	١٠٥	٨

أما فيما يختص بالعهد الجديد فسيكون الحديث في ذبيحة المسيح ثم الذبائح الروحية للمؤمنين. يؤكد الكتاب المقدس أن الذبائح جميعها كانت رموزًا لذبيحة المسيح على الصليب والتي هي الذبيحة النهائية الكاملة للتكفير عن خطية الإنسان وخلاصه؛ فلم يكن الناموس بكل ذبائحه وطقوسه وفرائضه وأحكامه قادرًا أن يحيي لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا (عب١: ٤- ١٤) فجاءت ذبيحة المسيح لتبطل كل الذبائح التي كانت تتعدد في العهد القديم لأن ذبيحة واحدة لم تكن كافية للتعبير عن الجوانب المختلفة لذبيحة المسيح.

ولمزيد من التأمل في ذبيحة المسيح وكيف احتوت كل أنواع ذبائح العهد القديم تستعرض بعض النصوص من العهد الجديد مثل (مر ١٤: ٢٤؛ عب ٩: ١٥-٢٢؛ أف ٥: ٢؛ عب ١٠: ٤-٩؛ رو ٨: ٣؛ ٢كو ٥: ٢١؛ عب ١٣: ١١؛ ١كو ٥: ٧؛ يو ١: ٢٩، ٣٦؛ عب ٢: ١٧، ٩: ١٢-١٤). إن موت المسيح الكفاري يقدم لنا الكثير فهو يقدم الفداء (مر ١٠: ٤٥؛ رو ٣: ٢٤-٢٥) ويقدم المصالحة (رو ٥: ١٠)، غفران الخطايا (مت ٢٦: ٢٨؛ رو ٤: ٧؛ أف ١: ٧) والتبرير بمعنى استعادة الوضع الصحيح من نحو الله (٢ كو ٥: ٢١) والتقديس (رو ٦، ٧، ٨، في ٣: ١٠، ١١) والبنوية (غل ٤: ٤-٧).

وكفاية ذبيحة المسيح كالوسيلة الوحيدة لخلاص الإنسان تقوم على أساس أنه ابن الله الأزلي وملك الدهور الأبدي وأنه الطاهر القدوس الذي بلا عيب ولا دنس ولم يعرف خطية ولم تكن فيه خطية ولكي يتم نوال بركة هذه الذبيحة الكفارية يلزم التوبة والإيمان الذي يتجسد في حياة طاعة وعطاء وبذل. وبعد تقديم المسيح نفسه على الصليب نيابة عنا لم يعد هناك احتياج إلى أي ذبيحة للتكفير عن نفوسنا (عب١٠: ١٠-١٨) وأصبح المؤمنون الآن لا يقتربون من الله بمثل تلك الذبائح الدموية لكن أصبحت ذبائح شعب الرب ذبائح روحية لأن الله روح والذي يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا (يو ٤: ٢٤) واستجابة مع وصية الرب في ١بط٢: ٥ أصبحنا ملتزمين بتقديم هذه الذبائح الروحية المقبولة. ومن أمثال هذه الذبائح: ذبيحة تكريس النفس بالكامل (رو١٢: ١، ١٥: ١٦)، وذبيحة تقديم ما نمتلك من مال ووقت وجهد ومواهب (في٤: ١٨؛ عب١٣: ١٦؛ رو٦: ١٣، ١٩، في ٢: ٥-٨) وأيضًا نقدم بالمسيح ذبيحة التسبيح التي هي ثمر شفاه معترفة باسمه أي أن ترنيمنا هو بمثابة كلمات ألسنتنا المعبرة عن مكنونات قلوبنا كما تعلن الثمرة عن طبيعة الشجرة (عب١٢: ٢٨).

المراجع

دائرة المعارف الكتابية، الجزء الثالث. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩١. «الذبائح.»

دائرة المعارف الكتابية، الجزء السابع. القاهرة: دار الثقافة،

www.christianlib.com

١٩٩٧. «القربان».

جون هـ والتون، فيكتور هـ مايثوز، مارك واتشافالاز. **الخلفية الحضارية للكتاب المقدس. العهد القديم.** الجزء الأول. القاهرة: دار الثقافة ٢٠١٢.

Freedman, David Noel., ed. *The Anchor Bible* Dictionary. "The Sacrifice." New York: Doubleday، 1992.

Wood، D. R. W.، and I. Howard Marshall. "The Sacrifice." New Bible Dictionary. Downers Grove، IL: Intervarsity Press، 1900.

Wright، David، Sinclair B. Ferguson and J. I. Packer. "The Sacrifice." In New Dictionary of Theology. Grand Rapids، MI: Baker Book House. 1991.

Alexander, T. Desmond, and Brian S. Rosner. "The Sacrifice." In *New Dictionary of Biblical Theology*. Downers Grove, Ill: InterVarsity Press, 2000.

القس محسن منير

٧: ١-١٠: قارن ٥: ١٤-٦: ٧ في ذبيحة الخطية، يُنضح الدم على الحجاب وعلى قرون مذبح البخور. أما في ذبيحة الإثم، فيُرشُّ الدم على المذبح مستديرًا من حوله. «**قدس أقداس**»، مخصصة للكاهن الذي يقدمها، وعليه أن يأكلها في مكان مقدس، أي داخل الخيمة، لا في البيت. بالإضافة إلى حصوله على جلد المحرقة، والمخبوز في التنور أو في مقلاة أو على الصاج (را. ٢: ٤-٨)؛ أما التقدمة الملتوتة بزيت أو الناشفة فتذهب لكل الكهنة بشكل متساوٍ. لا شك أن هذا التوزيع للحصص يعكس خلافًا بين الكهنة على الحصص (قارن ١أخ ٢٤؛ لو ١: ٨-٩).

٧: ١١-٢١ وتشرح الأنواع الثلاثة لذبيحة السلامة: **الشكر** (ث و د ه)، **النذر** (ن د ر) **والنافلة** («ن د ب ه»، الطوعية؛ قارن ٢٢: ٢١؛ عد ١٥: ٣؛ تث ١٢: ١٧). ذبيحة الشكر هي لحمد الله على حضوره في حياة المقدِّم وعلى عطاياه السخية له. وذبيحة النذر تعبير عن شكر الله على تحقيق النذر. أما الذبيحة الطوعية فتُعبِّر عن حرية الإنسان ورغبته بالاحتفال مع عائلته وعشيرته أمام الله (انظر الفصل ٣). وفي ذبيحة الشكر، يُقدَّم الفطير أو الرقائق أو الدقيق وكلها غير مختمرة وتحتوي على الزيت. أما الخبز المختمر فيُقرَّب مع الذبيحة بنفس كمية الخبز غير المختمر. ويُقرِّب الكاهن واحدة مما سبق «**رفيعة**» (ع. ١٤؛ «ت ر و م ه») أو هدية/تقدمة للرب. والحصة الأكبر تذهب للمقدِّم، وإذا كانت ذبيحة شكر فيجب أن تؤكل كاملًا في اليوم نفسه. وإذا كانت تقدمة طوعية فيمكن أكل الباقي في اليوم التالي، لكن ليس في اليوم الثالث، لأنها لم تعد صالحة ولا تُقبَل، «تكون نجاسة» (ع. ١٨؛ «ف چ و ل»؛ قارن حز ٤: ١٤؛ إش ٦٥: ٤) أي عمليًا تكون اللحوم في اليوم الثالث قد أنتنت. «**تحمل ذنبها**»، العقاب يأتي من الله لا من الجماعة. (ع. ٢٠)، «**تُقطع تلك النفس**»، على من يأكل ذبيحة السلامة أن يتأكد من أنه غير نجس، وإلا فالعقاب عسير. لكن لا نعرف بالتحديد معنى هذه العبارة؛ هل تعني قتل النجس؟ تعني بحسب مز ٣٧: ٢٢ نزع ميراثه، وتجريده من حقه كواحد من جماعة العهد، وحرمانه من المواعيد الدينية والبركات، وهي أسوء ما يمكن أن يحدث للفرد. ففصل الفرد عن شعب يعيش في البادية يعني قطعًا الحكم عليه بالموت. ولا إشارة في هذه العبارة إلى أي معنى أبعد من الحياة على الأرض. إنّ الفاعل مبني للمجهول للفعل قطع (ك ر ث) ويعود للرب نفسه، لا أحد آخر غيره (انظر مثلًا حز ١٤: ٨، ١٣، ١٧، ١٩ . . . وما يليه).

٧: ٢٢-٢٧: إعادة تحريم أكل الشحم والدم (قارن ٣: ١٦-١٧) وعقاب المخالف نفس العدد ٢٠.

٧: ٢٨-٣٨: في هذا المقطع نتعرف على نصيب الكهنة من ذبائح السلامة. بما أن ذبيحة السلامة هي بالأساس للاحتفال بها مع العائلة، فحصة الكاهن ويهوه صغيرة نسبيًا. فما يذهب للرب هو الشحم، ويُحرَق كاملًا على المذبح (را. لا ٣)؛ لكن أُضيفت كلمة «**الصدر**» الذي يردّده الكاهن أمام الرب ويأخذه هارون وبنوه، وكذلك عبارة «**الساق اليمنى**» (ع. ٣٢) التي تذهب «**رفيعة**» للكاهن، أي تُرفع له كعطية. (ع. ٣٤) «**فريضة دهرية**» (ح ق-ع و ل م)، يهوه نفسه يؤسس لها لتبقى فريضة دائمة، أي لا يجوز لأحد أن يشكك في الحصص. (ع. ٣٥) «مسحة هارون»، على الأرجح المقصود «حصة هارون» أو «حصة الممسوح». هذه حصص الكاهن لأجل تأمين حياته وتأمين خدمته في الهيكل. وتُقفل الفصول السبعة الأولى في ع. ٣٧-٣٨، «**جبل سيناء.. برية سيناء**»، قدَّم بنو إسرَإيل ذبائحهم في جبل سيناء وفي البرية أيضًا.

يستحق الكاهن الإكرام لأنه خادم للذبيحة والمذبح وشريك فيهما، وهكذا ينظر العهد الجديد للمبشّر بالإنجيل (١كو ٩: ٧-١٤؛ ١تي ٥: ١٨؛ مت ١٠: ١٠) لأن العامل مستحق أجره. لكن عرفنا أنه لا يجوز أن يترك الكاهن طعامًا من ذبائح السلامة لليوم التالي، أي عليه أن يثق بالله وبرعايته وبأنه سيحصل على حاجاته. لا يترك الرب خدامه وأولاده؛ فتتحقق بذلك الصلاة الربانية: «خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم» (لو ١١: ٣). ولا يأكل المقدِّم أقسام الذبيحة المخصصة له وحده بل يشترك أيضًا بها الآخرون، مثل الأقرباء والجيران، وخاصة الفقراء (تث ١٢: ١٢). إنها بهجة العطاء، لأنه «مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ» (أع ٢٠: ٣٥). لا يحيا الإنسان وحده بل يحيا في شراكة المحبة، لأن الله هو مصدر كل عطاء وهو المبادر، والإنسان يعطي ما استلمه من خالقه. إذا انطوى الإنسان على نفسه يخور ويذبل، أما إذا أعطى فالعطاء يزهر فرحًا وابتهاجًا في الآخرين فيشكرون الله بسببه (٢كو ٤: ١٥؛ را. مت ٥: ١٦).

www.christianlib.com

٨: ١-١٠: ٢٠ ثانيًا: تكريس الكهنة

تربطنا هذه الفصول بموسى في جبل سيناء وسفر الخروج ٢٥-٤٠. فبعد أن استلم موسى كامل الشريعة من يهوه في جبل سيناء، وصار تكريس هارون عظيم الكهنة وبنيه ضرورة لا بد منها، ومترافقة مع رتبة الارتداء والمسحة وذبائح الخطية والمحرقة والملء (لا ٨)، ينتقل للحديث عن تسلّم هارون منصبه والذبائح المرافقة (لا ٩)، وهي تبدو كمسحة ملكية. في القديم، لم يكن هناك رتب تنصيب ومسحة بالمعنى الدقيق للكهنة، بل يدخل الكاهن وظيفته بحكم الوراثة. أما في زمن الهيكل الثاني فقد دخلت المسحة. وكأن الفصلين ٨ و٩ يفتتحان الذبائح التي ذكرت في لا ١-٧ من جهة. ومن جهة ثانية، يُرجح بأن طقوس الذبائح كانت سابقة للمسحة، وهذا يُفسر بعض الشيء موت ابني هارون، ناداب وأبيهو، في الفصل ١٠ بسبب إصعادهما نارًا غريبة، ويشرح خلفية عدم أكل هارون من الذبيحة المخصصة له بعد حادثة موت ابنيه، ويلقي الضوء على مركزية العبادة في أورشليم. وبالمحصلة التأكيد الشديد على ضرورة طاعة موسى وحفظ شريعة الذبائح بدقة. وهذا طوَّرَ بدوره بعدًا تعليميًا لخدمة الكاهن تجاوز ممارسة الشعائر البحتة.

٨: ١-٣٦ مسح هارون وبنيه يتشابه الفصل ٨ مع خر ٢٩ في مسح هارون وبنيه كحدث واحد يُكرَّس من خلاله بنو هارون كهنة لكامل مدة حياتهم (خر ٢٩: ٩؛ ٤٠: ١٥). وهي طقوس طويلة نوعًا ما وفيها المسحة والذبيحة. كما أن كل رئيس كهنة جديد يُعيّن باحتفال ومسحة جديدة (لا ٦: ٢٢)، ينتقل فيها من رتبة إلى رتبة أخرى، وينفصل عن الحياة العامة ليدخل الحياة المقدسة، وهذا الانتقال حساس وخطر يجب أن يتم بعناية وحرص شديدين، كما تشير إلى ذلك طقوس التطهير والذبائح والغسول، وقصة عقاب ناداب وأبيهو في الفصل ١٠.

٨: ١-١٣ يتم المسح عند باب الخيمة، وهذا يعني بحضور شيوخ بني إسرَائيل. والأدوات المستخدمة لفرز هارون وتكريس بنيه: الثياب ودهن المسحة وثور الذبيحة والكبشين وسل الفطير. «**غسّلهم.. وألبسه الجبة**» (خر ٢٩: ٥-٨)، يغسل موسى الكهنة، ويمسح هارون ويلبسه القميص والحزام والجبة والرداء وينطقه بزنار الرداء. على الأرجح يكتفي بغسل اليدين والرجلين، بينما في يوم الكفارة، يَغسل رئيس الكهنة كل جسده (١٦: ٤). «**الأوريم والتميم**»: أحيانًا تدعى الأفُود. ربما هي أحجار كريمة للقرعة (كعبان من الذهب) ربما لها ألوان، ولها وجوه. أو هي حجر واحد له وجهان، لمعرفة مشيئة الله والوقوف على رأيه (١صم ٢: ١٨؛ ١٤: ٤١؛ ٢٨: ٦؛ ٣٠: ٧)، لكن لا شك أن القرعة أبعدت الكاهن بعض الشيء عن قراءة مشيئة الله بالأحلام أو الانجذاب الصوفي أو غيره الذي قد يعطّل السيطرة على الأفعال. كانت الصدرة بسيطة من القماش في البداية، لكن ما لبثت أن تطورت وتلونت لاحقًا (قارن ٢صم ٦: ٢٠؛ خر ٢٨: ٦). «**العمامة**» التي يضعها على رأسه كرئيس للكهنة، تميّزه، وهي من الكتان الطويل (قيل إنها حوالي ٧ متر)؛ أو هي إكليل مقدس، أو بريم من القماش، على الأرجح مأخوذ من التراث الفارسي الملكي. وعليها «**صفيحة الذهب**» أو «وردة ذهبية» وكأنها ختم، يُحفر عليها عبارة: «قدس للرب» (را. خر ٢٨: ٣٦-٣٩؛ لا ١٧: ٤)، «**دهن المسحة**» زيت مُعدّ خصيصًا للتكريس (خر ٣٠: ٢٢-٣٣). واستخدام المسحة يعني أن الممسوح له رتبة ملوكية ما. ويُمسح هنا رئيس الكهنة فقط لا أبناؤه (خر ٢٩: ٧). لكن أحيانًا أخرى، تُستخدم لمسح باقي الكهنة أيضًا (مثلًا خر ٤٠: ١٥؛ عد ٣: ٣). وكل شيء يَمسُّه الكاهن، يُمسح أيضًا بالزيت. مَسح رئيس جديد يعني بداية عهد جديد، كأن يُعفى عن المذنب الذي هرب ولجأ إلى إحدى مدن الملجأ عند وفاة رئيس الكهنة (عد ٣٥: ٢٦-٣٢). إن صفيحة الذهب والإكليل المقدس يعطيان البعد الملوكي للكاهن الأعظم يوم بدء الكاهن يأخذ وظائف الملك في لحظة غيابه.

٨: ١٤-٢٩ ثلاث ذبائح يُقدِّمها موسى مرتبطة بتكريس رئيس الكهنة وكأنها أول الذبائح في الخيمة المدشَّنة جديدًا: ثور الخطية، وكبش المحرقة، وكبش الملء. «**ثور الخطية**» أغلى ذبائح الخطية (را. خر ٢٩: ١٠-١٤)، لكن هناك إضافة لطقوس هذه الذبيحة: «**طَهِّر المذبح**»، في العبرية: «ي ح ط ا»، أي رفع الخطية عن المذبح. إن الخطية في الفكر القديم يمكنها أن تنتقل إلى الحجارة والأشياء، لذلك وجب تطهيرها، بما فيها المذبح. رشّ الدم ومسح قرون المذبح علامة على التطهير التام، لإزالة أية لطخة عالقة به. بالتطهير يصير المذبح جديدًا مرة أخرى. ويُحرق الجلد واللحم والفرث خارج المحلة. ثم يُقدِّم «**كبش المحرقة**»، وتُحرق كلها (الرأس واللحم المقطع والشحم) لأنها وقود للرب، و«**كبش المَلء**» (ا ي ل/ ه م ل ا ي م) أو التكريس (خر ٢٩: ١٩-٢٦) وله طقوس مميزة وظيفتها: تقديس هارون وتكريس الكهنة، بمسح الإذن اليمنى (السمع) ومسح الإبهام الأيمن (العمل) ومسح الإصبع الكبيرة في الرجل اليمنى (المسير)، أي تقديس كامل أجسادهم؛ وظيفة أخرى لكبش الملء يكون قربانًا عن الكهنة الذين يشتركون في أكله، أما الألْيَة والشحم ومعهما «الساق اليمنى» (إضافة جديدة)، فتُحرَق كالعادة للرب رائحة سرور بعد أن يوضع فوقها واحد من كل الأنواع الثلاثة للكعك الذي في «**سَلّ الفطير**». أما موسى فيأخذ الصدر نصيبًا له بعد ترديده أمام الرب. (ع. ٣٠-٣٦) بعد تقديس هارون بالدم وبدهن المسحة، يأكل هارون وبنوه الخبز الذي في سل قربان الملء واللحم الباقي عند باب الخيمة. ويُطلب من المكرسين البقاء لمدة أسبوع في خيمة الاجتماع، كمرحلة انتقالية للعودة للحياة العادية، وفي اليوم الثامن

www.christianlib.com

(لا ٩) يتسلّم الكهنة وظائفهم وعملهم بتقريب الذبائح المفروضة كما في الفصول ١-٧.

يسوع المسيح هو الكاهن الأعظم في الكنيسة كما تضعه الرسالة إلى العبرانيين. لكن كهنوت المسيح مختلف عن كهنوت هارون، فهو ممسوح في المسكن الأعظم لا في خيمة الاجتماع (عب ٩: ١١-١٢)، وهو كهنوت مستمر أبدي (٧: ٢٣-٢٥) وعلى رتبة ملكي صادق الشامل (عب ٥ و٧)، وبعد أن يتشفع للمؤمنين أمام الله ويصلي لأجلهم (قارن أف ٣: ١٤-٢١؛ يع ٥: ١٩، ٢٠؛ ١يو ٥: ١٦) يفتح لهم باب الدخول إلى «عرش النعمة» وقدس الأقداس بدمه الكريم الطاهر، الأمر الذي كان قاصرًا على رئيس الكهنة فقط (عب ٩: ١٤؛ ١٣: ١٢؛ ١تس ٥: ٢٣؛ ٢تي ٢: ٢١؛ تي ٢: ١٤). مهمة الكنيسة أن تخدم العالم مثل الكاهن، فتنقل المسيح للعالم إلى أن يرى الناس نوره والحياة التي أعطاها إياهم.

٩: ١-٢٤ الكهنة يبدؤون خدمتهم وأول ذبيحة في خيمة الاجتماع بعدما كرَّس موسى الكهنة في لا ٨ ينتقل إلى تقديم أول ذبيحة عامة في المعبد الجديد أو خيمة الاجتماع، والتي سيقوم بها من بعد ذلك هارون والكهنة مع الشيوخ، لا موسى. لكن ملفت للانتباه أن العبارات في لا ٩ تختلف بعض الشيء عن الفصول السابقة، وتدلنا على أنها تنتمي إلى أقدم نصوص التراث الكهنوتي. وعلى الأرجح، كما في بقية الفصول، تتصل بالفصل ٤٠ من سفر الخروج. (ع. ١) بعد سبعة أيام من تكريس الكهنة، لا يزال الشيوخ في اليوم الثامن أمام الخيمة فهم شهود ومشاركون في الذبائح. **«اليوم الثامن»** علامة اكتمال التكريس. (ع. ٢-١١) يُقدِّم هارون عجلًا كذبيحة خطية، وكبشًا للمحرقة، عن نفسه. وهكذا أيضًا يُقدِّم تيسًا من الماعز ذبيحة خطية عن بني إسرَإيل فتكون الطريق بذلك سالكة لتقديم المحرقة (عجلًا وخروفًا عمرهما سنة) عن كل الشعب وكبشًا لذبيحة السلامة. **«كَلِّم بني إسرَإيل»**، المراتب الكهنوتية أساسية على الرغم من عدم ذكرها هنا، كما في جبل سيناء، موسى يكلم هارون، وهارون يُكلّم الشعب. الكهنوت لا ينحصر بالفرائض والطقوس بل يأخذ مهمة التعليم. (ع. ١٢-٢١)، **«ناولوه»**، يُقدِّم هارون الذبائح ويعونه بنوه. لا يضع بنفسه القطع دفعة واحدة على المذبح بل يقوم بنوه بتسليمه إياها واحدة بعد الأخرى بكل عناية وحرص، وهذه الدقة على الأرجح لأن هارون (رئيس الكهنة) يلمس المقدسات لأول مرة في أول خدمة له. (ع. ٢٢-٢٤) **«تراءى مجد الرب»**، إنه النور الذي يسطع عند حضور الألوهة، وكأن المجد «جسده» (خر ١٦: ١٠؛ ٢٤: ١٦؛ إش ٤٠: ٥؛ حز ١٠: ٤، ١٨). ويظهر هذا المجد في مناسبات خاصة (خر ٤٠: ٣٤-٣٨؛ ١مل ٨: ١٠-١١) وبطريقة عجائبية. واللغة في العهد الجديد مماثلة، فنقرأ «سحابة نيرة ظللتهم» (مت ١٧: ٥) وأخذته سحابة عن أعينهم، أي انتقل إلى محضر الله (أع ١: ٩)، لأن التشديد لا على علامات الحضور: النور والسطوع والسحابة، بل على الحضور نفسه (قارن ١أخ ٢١: ٢٦ مع ٢صم ٢٤: ٢٥؛ ٢أخ ٧: ١ مع ١مل ٨ وإيليا على جبل الكرمل). أما في العهد الجديد فقد رأينا مجد الله متجسدًا في المسيح يسوع دون حجاب ودون برقع (مت ١٧: ٥؛ يو ١: ١٤). صرنا ناظرين وجه الرب بوجه مكشوف (٢كو ٣: ١٨). التجلي واللمعة والبياض إشارات إلى الطهارة والنقاء، فالنفوس الطاهرة ترى الله (مت ٥: ٨). يصرف الإنسان اليوم أطنانًا من الأموال لتغيير هيئته وينسى أن يتيقظ للروح القدس لكي يدرك سر هيئته في المسيح المتجسد. لقد تراءى مجد الرب أيضًا على الصليب وفي آلام المسيح (عب ٢: ٩)، لأن الرب لم يعد يسكن قدس الأقداس لم يعد يُرى مرة واحدة في السنة، بل يُرى في المتألمين والمصلوبين في العالم.

١٠: ١-٢٠ عقاب ناداب وأبيهو يتناول هذا الفصل الكهنة المخولين بخدمة المذبح، حقوقهم وواجباتهم، التي حُصِرت بعد السبي بأولاد هارون الأصغر سنًا بعد عقاب ناداب البكر وأبيهو الابن الثاني في الترتيب بين أولاد هارون. (ع. ١-٧) ناداب بكر هارون وأبيهو الابن الثاني (خر ٦: ٢٣)، لقد تم اختيارهما على جميع إخوتهما بالإضافة إلى سبعين آخرين من شيوخ بني إسرَإيل للتقرب من الرب (خر ٢٤: ١، ٩-١١). أما موتهما هنا، فعلى الأرجح يعكس الصراع بين الكهنة لإقامة كهنوت مستقل (في مملكة الشمال). **«نارًا غريبة»** («إ ش/ ز ر ه») جريمة ناداب وأبيهو لم تكن في تقديم بخور غريب، وفي النار بحد ذاتها، بل في كون ذلك خارج صلاحياتهما، فصارت الخدمة غير شرعية، لأن الرب في **«القريبين»** منه (كهنة أورشليم) يتقدس. يتقدس في القريبين منه، عبارة نادرة، أي يشتركون في قداسته. لكن حرق البخور في البيت أو على مذابح أخرى خارج أورشليم أو بعيدًا عن الهيكل عادة معروفة بين بني إسرَإيل وفي شرقنا. لكن الكهنة أنصار العبادة المركزية في أورشليم سيرفضون بالتأكيد أية مشاركة بذبائح تأتي من خارج الهيكل، لأن الشريعة أوصت صريحًا ومرارًا بتقدمها «لدى باب الخيمة» (خر ٤٠: ٢٩؛ لا ١: ٥؛ ٣: ٢... وما يليه). نحن نعرف أيضًا بأن يوشيا أتى بكل الكهنة من كافة المناطق إلى أورشليم، لكنه لم يكن مخوّل لهم الاقتراب من المذبح، بل يمكنهم فقط أكل خبز الفطير مع إخوتهم الكهنة الآخرين (٢مل ٢٣: ٨-٩). وبالتالي حُصر الكهنوت الحقيقي ما بعد السبي في أبناء هارون الأصغر سنًا: ألعازار وإيثامار، حسب التقليد القديم في اختيار الله للأصغر: هابيل قبل قايين، ويعقوب قبل عيسو، وداود قبل إخوته، ويوسف كذلك (تث ٧: ٧؛ ٩: ٥؛ ١صم ١٦: ٧؛ ١كو ١: ٢٥-٢٩)، والتبرير اللاهوتي: أن الله يرى لا كما يرى الإنسان، كي لا يفتخر الإنسان بما أُعطي له. لقد كان بنو صادوق كهنة يبوس، أي أورشليم، قبل أن يأخذها

www.christianlib.com

داود، وأن «نَحُشْتَان»، الحية النحاسية، كانت معبودهم (قارن ٢مل ١٨: ٤). لكن عندما أُخذ أبناء صادوق إلى السبي، على الأرجح، أتى بنو هارون من بيت إيل ليحلوا مكانهم. وبالتالي إعلان زكريا ٣: ١-١٠ بأن الكاهن الذي نُزع كهنوته مرّةً وسُبي إلى أرض نجسة، سيعود ويأخذ مكانه الشرعي واللائق في أورشليم، هو حديث عن عودة بني صادوق (يهوشع). وهذا يفسر بعض الشيء لماذا الكهنوت أتى من ألعازار وأبياثار لا من ناداب وأبيهو (١أخ ٦: ٣-٣٠). «**فصمت هارون**»، أي رضي بأمره تعالى وقبل بما حدث، ورُفعا من أمام القدس إلى خارج المحلة لكونهما من خارجها. (ع. ٦-٧) تُذكّر رئيس الكهنة بعدم الحزن على موت أي من الكهنة من أقربائهم (لا ٢١: ١٠-١٢) بمن فيهم ناداب وأبيهو، وبالتالي عدم المشاركة في الجنازة لدواعي طقسية، وللظروف الآنفة الذكر، وتجنب النجاسة. مظاهر الحزن المفرطة المذكورة في ٢١: ٥ غير واردة هنا من قصّ الشعر وتمزيق الثياب. لكن يجوز لبني إسرَإيل أن يبكوهما. (ع. ٨-١١) يُحرَّم شرب المسكرات في أوقات الخدمة في خيمة الاجتماع، ولعلها كانت خطية ناداب وأبيهو كونها وردت بعد الحادثة مباشرة، فلم يميزا بين الطاهر والنجس لأنهما سكرا. (ع. ١٢-١٥) وتتحدث عن نصيب الكهنة من التقدمات. لكن على الكهنة التمييز بين المقدَّس وقُدس الأقداس. فالمقدَّس يمكن أكله مع عائلة الكاهن في بيته، أما «قدس الأقداس» فلا يؤكل إلا في الخيمة ومن قبل الكهنة فقط. (ع. ١٦-٢٠) مرة أخرى تشديد على أهمية المشاركة في أكل الذبيحة. إن الشريعة بحسب لا ٦: ٣٠ تقول بأن كل ذبيحة خطية يُدخل من دمها إلى الخيمة، لا تؤكل بل تُحرق.

١١: ١-١٦: ٣٤ ثالثًا: فرائض الطهارة من الخطأ الاعتقاد اليوم أن قواعد الطهارة والنجاسة في هذا القسم مرتبطة بقواعد النظافة والصحة العامة، على الرغم من أن بعضًا من تلك القواعد يوحي بذلك. لا دليل على أن نظافة الحيوان وأكله من قبل الإنسان مرتبط بنجاسته أو طهارته، ففرائض الطهارة والنجاسة طقسية لا صلة لها بالسلوك الأخلاقي للفرد أو ممارساته. إن خروج الإنسان عن حفظ قواعد الطهارة يعني انفصاله عن الشركة والعبادة، وبالتالي حرمانه من البركات الإلهية. أما المعايير التي «**تميّز**» أو تفصل بين النجس والطاهر فهي افتراضية، أي غير مبررة بشكل مباشر ومنطقي. تُعتبر أحيانًا بعض الحيوانات نجسة لمجرد كونها مقدسة عند الشعوب الأخرى؛ أو ربما لأن شكلها غير طبيعي أو سلوكها في الأكل أو الحركة شاذّ بالمعتقد السائد. لكن الأساس دائمًا، تحريم أكل الدم (لأنه للتكفير) والشحم (لأنه للرب، أي يُحرق). وفرائض الطهارة مقسمة بحسب الفصول: الحيوانات النجسة والطاهرة (لا ١١) وفرائض التطهّر عند الولادة (لا ١٢) وفرائض التطهّر من البرص أو الأمراض الجلدية (لا ١٣-١٤: ٣٢) وشريعة تطهير البيوت من العفن (١٤: ٣٣-٥٧) وتطهّر الجسم من إفرازاته (لا ١٥).

١١: ١-٤٧ الطعام الطاهر والنجس يضع الفصل ١١ لائحة بمختلف الحيوانات المحرَّمة والمحلَّلة للطعام، واللائحة الموازية موجودة في تث ١٤، وهي شبيهة بالكثير من اللوائح المنتشرة في حضارات الشرق الأوسط القديم. الطاهر هو ما يُقدّم للرب على نموذج البقريات؛ أما النجس فلا يُقرَّب، علمًا أن هوية بعض الحيوانات المذكورة غير أكيدة. (ع. ٢-١٢) إن الثدييات محلَّلة الأكل إذا كانت تشق ظلفًا وكانت تجترّ، وإلا فهي محرّمة. وهناك بعض الأمثلة: الخنزير يشق ظلفًا لكنه لا يجترّ فهو محرَّم. وكذلك الجمل محرّم لأنه يجترّ ولا يشق ظلفًا. وظنّوا أن الأرنب يجترّ بسبب حركة فكّيه المتواصلة لكنه لا يشق ظلفًا فهو محرّم. عمليًا هذا يعني أن الحيوانات المسموح بأكلها هي التي تُقدَّم على المذبح. مع أن الخنازير كانت منتشرة في مناطق مختلفة من فلسطين، واستخدم في الذبائح عند من يعبدون «آلهة العالم السفلي»، لكن عددها تقلص إلى حدّ كبير في عصر ولم يدرج تقديمه. وكذلك الحيوانات المائية (ع. ٩-١٢) التي لم يُسمّها على اتساعها الكبير، بل ميّز تلك التي ليس لها حراشف أو زعانف واعتبرها محرّمة، وبالتالي كل القشريات والمفصليات والرخويات المائية محرّمة. أما الطيور (ع. ١٣-١٩) فمن الصعب تحديدها، إنما يحدد الكاتب بعضها، ومعظمها لاحم وآكل للجيف (قارن تث ١٤: ١١-١٨). وأضاف إلى لائحة الطيور المحرمة بعض الحشرات الطائرة أو «**الماشي على أربع**» التي تدب على الأرض، أما المحلَّل فهو: الجراد والدَّبا والحرجوان والجندب (ع. ٢٠-٢٣)، مع أن تث ١٤: ١٩ عمّم على نجاسة كل «دبيب الطير»، وهذا التمايز في النص يعود غالبًا إلى عادات الناس في أكلها وزمن كتابتها. في النص العبري «ما ليس له قائمتان»، لكن البستاني-فانديك، على الأرجح، اعتمدت السبعينية، أو ترجمة الملك جيمس الإنجليزية: «**ما له كراعان**» أو «ما له قائمتان». (ع. ٢٤-٤٠) تكرَر التعليمات السابقة بخصوص النجس من الماشية على أربعة قوائم (أي فيها الكلاب والقطط) وتفاصيل أخرى مرتبطة بمسّ الحيوانات النجسة، وتلك التي تأكل الجثث. «**إلا العين والبئر**» تبقيان طاهرتين إذا وقع فيهما نجس، لأن المياه بشكل عام مُطهِّرة والجارية منها. ولو كان الحيوان طاهرًا، فمتى مات يصير نجسًا. (ع. ٤١-٤٣) تحريم أكل أي شيء يدبّ على الأرض أو يزحف على بطنه. (ع. ٤٤-٤٥) وتأكيد على ضرورة القداسة، لأن الله قدوس، وهي قاعدة جميع الوصايا في كل التوراة. إن السلوك في شريعة الطهارة مؤسس لا على قناعة ما أو فلسفة أخلاقية، بل على خلاصهم من مصر، على الذاكرة التاريخية. أهمية الذاكرة للقداسة والخلاص، والذاكرة عكس السهو الذي يُقدَّم عنه التكفيرات؛ والخطية أن نجهل قداسة الرب ونغفل عن محبته، لأن النوم والإهمال والغياب الروحي

www.christianlib.com

باب للفساد. (ع. ٤٦-٤٧) خلاصة الفصل، «للتمييز» (ب د ل) أو «الفصل» وهي نفسها مستخدمة في الخلق عندما فصل الله الظلمة عن النور، وميّز بين الأشياء (تك ١: ٤، ٧؛ لا ١٠: ٩؛ ١٠: ١٠؛ ٢٠: ٢٥)، وهذا يعني أن الأرض والسماء بما فيهما انتقلتا من الفوضى إلى شيء منظم، والإنسان على شبه الله مدعو لتنظيم الأرض لا أن يستبيحها وكأنه إله. الإنسان مرشح للألوهية إذا عرف كيف يحب كما أحب المسيح وبذل نفسه عن العالم. أما الطهارة والنجاسة فليستا فيما يدخل الفم بل فيما يخرج منه (مت ١٥: ١١، ١٨)، لأن القلب عندنا مكان الخطية، فإذا سكن الله في القلب تقدّس الإنسان. ولأننا نخشى الغلو في وصف الأبرار نميل للحديث دائمًا عن التائبين لأننا نعرف واقع الحياة ولا نريد أن نكون من المستكبرين، والأبرار لا يقيمون قيمة إلا لبر الله، ولا يرون لأنفسهم شيئًا إلا أنهم يستحقون الموت، وعندما ينكرون أنفسهم يصيرون شيئًا في عيني الله، لأن منشأ الطهارة هو المسيح (١يو ٣: ٣).

الطهارة والنجاسة

أغلب حضارات الشرق الأدنى القديمة كان لديها مفهوم الطهارة والنجاسة وكل بفكرها وبأسلوبها تتحرك بأدوات طقسية لوجود الطهارة والابتعاد عن النجاسة. فمثلًا كان للطهارة الجسدية أهمية كبيرة منذ أقدم العصور فيذكر «هيرودوت» أن كهنة قدماء المصريين كانوا يستحمون مرتين أثناء النهار ومرتين أثناء الليل. بعض الحضارات تتعامل مع حيوانات معينة أنها طاهرة وأخرى تراها نجسة وأحيانًا نفس الحيوان يكون مقدسًا في حضارة ونجسًا في أخرى مثل الخنزير بينما كان مقدسًا في بابل وكريت كان نجسًا لدى الإسرَإيليين والمصريين والفينيقيين القدماء، فكانوا لا يسمحون لرعاته بالدخول إلى الهيكل ولا يتزوج رعاة الخنازير إلا من بعضهم.

والحضارة الإسرَإيلية شأنها شأن باقي الحضارات القديمة كان لها فكر ونظام الطهارة والنجاسة حسب الشريعة الموسوية وهو الأمر الذي كان يشكل جزءًا من قصد الله الفدائي للبشرية وكان له أسبابه وأدواته وللتعرف على هذا الموضوع بقدر كاف يمكن الحديث في ثلاث أفكار رئيسة:

الطهارة والنجاسة في العهد القديم.
الطهارة والنجاسة في العهد الجديد.
مبادئ عامة.

أولًا: الطهارة والنجاسة في العهد القديم

توجد عدة كلمات عبرية تستخدم للتعبير عن الطهارة لكن أكثرها استخدامًا هي كلمة **(ط ه و ر)** (نفس الكلمة في العربية) إذا تذكر هي ومشتقاتها أكثر من ٢٠٠ مرة وتفهم حسب القرينة فهي تشير إلى الطهارة الطقسية (لا ١٢: ٧) وتعني الأدبية في مز ٥١: ٧ وأكثر الكلمات العبرية استخدامًا للتعبير عن النجاسة **(ط م ا)**.

يتضمن العهد القديم العديد من القوانين التي تحدد متي يكون الشخص نجسًا والطقس التطهيري اللازم ليتخلص من نجاسته. وتركز هذه القوانين على الطعام المحظور (لا ١١) الإفرازات الجسدية (لا ١٥) والأنواع المختلفة من الأمراض الجلدية (لا ١٣)، (عد ١٩: ١١ -١٩) والأماكن (لا ١٨: ٢٤- ٣٠) وتتنوع طقوس التطهير فقد تضمنت فترات انتظار (لا ١٢: ٢- ٥)، عوامل مطهرة مثل الماء أو الدم أو النار أو ذبائح وتقدمات (لا ١٥: ٥، لا ١٤: ٢٥، عدد ٣١: ٢٣، لا ٥: ٦) ومن لا ١٠: ١٠ -١١ نعلم أن واحدًا من أهم واجبات الكهنة هو أن يميزوا بين المقدس والمحلل وبين النجس والطاهر وتعليم الشعب الاختلافات والفروق بينهما. لكن يبقي السؤال لماذا هذه الشرائع الخاصة فللوهلة الأولى تبدو غير مناسبة على الأقل لمن يقرأها الآن وخاصة قوانين الطعام (لا ١١، تث ١٤) فلماذا مثلًا الخنزير والكابوريا نجسه بينما الخراف والسلمون طاهرة؟ تعددت الآراء والتفسيرات ويمكن تلخيصها في ثلاثة تفسيرات الأكثر أهمية:

أ- البعد الصحي: الحيوانات النجسة كانت غير (صالحة للأكل) لأنه كان يعتقد أنها حاملة للأمراض بينما الطاهرة آمنة نسبيًا للأكل.

ب- البعد الديني: الحيوانات النجسة كانت ترتبط بطريقه لصيقة بالعديد من ممارسات الوثنيين من الأمم جيران إسرَإيل ولهذا كان هناك ضرورة لتجنبها بطريقة حاسمة من إسرَإيل (شعب الله) حتى لا تفتح بابًا لهم لممارسة تلك الطقوس الوثنية.

ج- البعد الرمزي: تبلور هذا البعد بواسطة «ماري دو جلاس Mary Douglas» في دراستها حول «الطهارة والخطر» سنة ١٩٦٦. فهي تري أن نظم التمييز بين الطاهر والنجس كانت في الواقع سبيل لتنظيم الكون فقوانين الطهارة ترمز للكمال والسواء بينما قوانين النجاسة ترمز للهلامية والتشويش والانفلات.

أيًا كان التفسير المُقَدَم لهذه القوانين تبقي الحقيقة المركزية أن إسرَإيل كانت الشعب الذي دعاه الله ليعلن ذاته من خلاله ولأن هذا الإله قدوس كان على الشعب أن يعيش في قداسه (لا ٢٠: ٢٦) ووضعت هذه القوانين لتذكيره باستمرار بقداسه إلهه وأسلوب الحياة التي يجب أن يعيشها تبعًا لذلك (لا ١١: ٤٤ - ٤٥). هذه الحقيقة المحورية أدركها أنبياء العهد القديم وجاهروا بإعلان الإدانة للشعب في حاله تراجعه أو إهماله. هوشع يتهم إسرَإيل بالمجاهرة بالنجاسة من خلال عدم أمانتهم للرب (هو ٥: ٣، ٦: ٧ - ١٠)، إش ٣٠: ٢٢، إر ٢: ٧، ٧: ٣٠ يعلنان أن الوثنية تنجس الأرض وحتى الهيكل، النبي/الكاهن. وأدان حزقيال النجاسة المرتبطة بالأصنام والقتل

www.christianlib.com

(خر ٤: ١٤، ٢٢٢: ٣ -٤، ١١، ٢٧، ٣٣: ٢٥ -٢٦).

في ختام هذا الجزء هناك ملاحظة هامة من الضروري التوقف عندها وهي الارتباط اللازم ولضروري بين الممارسة الطقسية والسلوك في حياة اليومية لذا نادرًا ما ميزت الشريعة بين الطهارة الطقسية والطهارة الأدبية فمثلًا سفك الدم جريمة أدبية ونجاسة طقسية (عدد ٣٥: ٣٣، ٣٤) ومما يلفت النظر أن وصية مثل «تحب قريبك كنفسك» وأيضًا وصية معاملة القريب كالوطني جاءتا في وسط وصايا طقسية (لا ١٩: ١٨، ٣٣، ٣٤).

ثانيًا: الطهارة والنجاسة في العهد الجديد

يتركز مفهوم الطهارة في العهد الجديد على الطهارة الداخلية، الأمر الذي لا يتم بمجهود إنساني أدبي بل بعمل نعمه الله في القلب وانتقلت مسؤولية التطهير في العهد الجديد من الكهنة قديمًا إلي رئيس الكهنة الأعظم الرب يسوع (عب ٤: ١٤) وهذا لا يعني سلبية المؤمن بل عليه دوره كما في ٢ كو ٧: ١، يع ٤: ٨، ١بط ١: ٢٢.

ومن هنا كان تركيز كتاب العهد الجديد على الطهارة والنجاسة الأخلاقية وليست الطقسية فأعلن يسوع نفسه أن ليس ما يدخل الإنسان (طعام) هو الذي ينجسه بل الذي يخرج منه (مت ١٥: ١- ٢٠، مز ٧: ١ -٢٣) مثل الأفكار الشريرة، الفساد الجنسي، السرقة، القتل، الزنا والطمع. وفي رسائل بولس النجاسة هي مزيج بين الانحلال الجنسي والطمع وهما تعبير عن الوثنية (أف ٢: ٣، كو ٣: ٥)

قوانين الطعام في العهد القديم كانت كما سبق الذكر لتذكرة شعب إسرَإيل بوضعهم الخاص كشعب مختار من الرب. المخلوقات الطاهرة (الصالحة للأكل) ترمز لإسرَإيل بينما النجسة منها (غير صالحة للأكل) ترمز للأمم. لكن كنيسة المسيح مفتوحة لكل الناس من كل الأمم والقبائل والشعوب لذا فمن غير المناسب ولا الضروري استمرار حفظ قوانين الطعام. ونلاحظ أن كلاً من البشيرين في مت١٥: ١٦ - ١٧، مر٧: ١٨- ١٩ في تسجيلهما نقد يسوع لقوانين الطعام اتبعه في الحال بقصة المرأة الكنعانية التي قام يسوع بشفاء ابنتها من روح نجس (وقد وصفت نفسها بالكلب أي نجسة) (مت ١٥: ٢١ -٢٨، مز ٧: ٢٤ - ٣٠). وبالرغم من أن تعليم وخدمة يسوع وضعت الأساس للكرازة للأمم وإبطال قوانين الطعام لكن الخطوة الحاسمة جاءت فيما سجله أع ١٠ عن رؤيا بطرس ثم دخوله بيت كرنيليوس الروماني حيث الخلاصة في عددي ١٤، ٢٨. وهو الأمر الحيوي والجوهري الذي حرص كاتب سفر الأعمال على تأكيده مرتين أخريين في أع ١١، أع ١٥. واتفق عليه الرسل في أورشليم سار عليه الرسول بولس وكرره في رسائله (١كو ٨: ٨، ١تي ٤: ٣ -٥) وأيضًا في رو١٤: ١٤ حيث يلخص قاعدة العهد الجديد بأنه ليس شيئًا نجسًا في ذاته لكنه نجس لأي شخص يعتقد فيه ذلك.

ثالثًا: مبادئ عامة

إن الله وحده هو الخالق لكل المخلوقات وهو صالح وطاهر فمن أين جاءت النجاسة لبعض المخلوقات؟ أليس هو أيضًا خالقها؟ إذن لابد أن يكون الأمر ليس في المخلوقات في ذاتها لكنه بمثابة وسيلة تعليم وإيضاح إلهية يعلن فيها فكرة عن نوع الحياة التي يريدها ولكن بصورة محسوسة يستطيع البشر إدراكها في ذلك الوقت وفي هذا تأكيد لمبدأ «تدرج الإعلان الإلهي».

الطاعة لوصية الله أمر ضروري وحيوي حتى لو عجز الفكر الإنساني المحدود عن استيعاب وفهم القصد من الوصية لأن الطاعة لشخص صاحب الوصية بغض النظر عن نوع الوصية.

الله قدوس وكل من يقاوم ويرفض الله فهو نجس لذا فالنجاسة ليست مرتبطة بمأكولات أو مخالفات طقسية لكنها كل ما يصطدم مع قداسه الله في حياتنا اليومية.

الله هو الحياة لذا فالنجاسة حتى الأخلاقية ليست مجرد فعل خاطئ بل هي رفض للحياة، ويصير الموت هو النقيض للقداسة وتصبح النجاسة قرينة بالموت.

بعد كل ما قاله الرب يسوع وفعله تجاه قوانين الطعام الطقسية في العهد القديم وبعد النور الكامل والتحقيق الأكمل لكل وصاياه وطقوسه في يسوع المسيح هل من المناسب حاليًا أن نربط تقوانا الروحية بأنواع خاصة من الطعام؟

المراجع

دائرة المعارف الكتابية، الجزء الخامس. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٩٥.

Elwell, Walter A. *Evangelical Dictionary of Biblical Theology*. Grand Rapids, MI: Baker Books, 2001.

Wood, D. R. W., and I. Howard Marshall. *New Bible Dictionary*. Downers Grove, IL: Intervarsity Press, 1900.

Alexander, T. Desmond., and Brian S. Rosner. *New Dictionary of Biblical Theology*. InterVarsity Press, 2000.

القس محسن منير

١٢: ١-٨ التطهر بعد الإنجاب إن الولادة كالطمث لدى المرأة، أو السيلان لدى الرجل، تحتاج المرأة فيها لبعض الطقوس لعودتها إلى الحياة العادية. إذا كان المولود صبيًا، كانت غير طاهرة لمدة سبعة أيام، أي إلى يوم ختن الصبي في اليوم الثامن، ويتبعها ٣٣ يومًا تكون فيها غير طاهرة أيضًا، لكن ليس بالدرجة التي كانت عليها أول سبعة أيام، فلا تَمسُّ مقدسًا ولا تقترب من الهيكل. ولا

www.christianlib.com

شيء مذكور هنا عن العلاقة بين العهد والختان كما هي الحال في تك ١٧. ويبدو أن مريم أم يسوع في لو ٢: ٢١-٣٩ خرجت عن القاعدة الصارمة لما أتت مع ابنها إلى الهيكل من أجل ختانه قبل انتهاء مدة الطهارة المحددة بأربعين يومًا. أما إذا كان المولود أنثى فتتضاعف المدة: ١٤ يومًا للتطهير الأساسي، يتبعها ٦٦ يومًا لكامل التطهير. وبعد انتهاء فترة التطهر في حالة الأنثى أو الذكر، تُقدَّم الذبيحة الممكنة: خروف للمحرقة، وفرخ حمام أو يمام لذبيحة الخطية. وإذا لم تستطع ذلك، تأخذ المرأة معها فرخي حمام أو يمام، واحد للمحرقة وآخر للخطية. وهكذا فعلت أم يسوع أيضًا بتقديم فرخي حمام (لو ٢: ٢٤).

١٣: ١- ١٤: ٥٧ البرص وتطهيره يناقش هذان الفصلان مختلف الأمراض الجلدية وشريعة تطهيرها، وكذلك تطهير البيت من البرص. وقد تُرجمت كلمة «تص ر ع ث» بكلمة «برص» وهي لا تعني تحديدًا البرص أو الجذام (مرض هانسن) بالمعنى الحديث، لأن بعض المفسرين يعتبر أن البرص لم يكن منتشرًا في تلك الأيام قبل مجيء اليونانيين (تفسير Oxford). وحرفيًا، كلمة برص تعني «صَرَع»، فهي «ضربة» جلدية أو بلاء. ولا تكون الضربات محصورة بجسد الإنسان، بل تمتد لتشمل الأشياء التي يستخدمها كالبقع على الأقمشة والثياب وحيطان المنزل (كالعفن). أما تشخيص الحالة ودرجة العدوى والبلوى فيحددها الكاهن.

١٣: ١-٥٩ فرائض البرص وأشكالها ينقسم الفصل ١٣ إلى قسمين، الأول يتناول شريحة متنوعة من الأمراض الجلدية البسيطة والمتقدمة (ع. ١-٤٦)، أو كما يسميها بشكل عام «البرص»؛ والثاني يتناول البرص أو البقع التي تظهر على الثياب (ع. ٤٧-٥٩). (ع. ٢-٨) **«ناتئ» «قوباء» «لمعة»**: طفح جلدي أو جرب أو قشرة أو بقعة أو التهاب وغيرها. نلاحظ أنه يسمي المرض «ضربة» (ن چ ع)، وتكمن مهمة الكاهن في تشخيص «الضربة» ومراقبتها، فيقوم بعزل المريض، و«**يحكم بنجاسته**» في حال كان المرض عميقًا في الجلد. أما في حال كان سطحيًا، فيعزله ويعاود فحصه بعد سبعة أيام، فإذا توقف، يقوم بحجزه سبعة أيام أخرى قبل أن يعلن طهارته. وفي حال امتدّ، يحكم باستمرار نجاسته، ويخرجه خارج المحلة. مهمة الكاهن طقسية، هي ليست لمعالجة المريض، بل للحكم الطقسي في نجاسته أو إعلان طهارته. والعزل ليس للحماية من العدوى، بل للنظر فيها مع مرور الوقت. «**إنها حِزَازٌ**»، أي قوباء، تقشّر الجلد وانجراده من الشعر. (ع. ٩-١٧) هي للبرص المزمن، أي تحول الطفح الجلدي إلى قروح من «**لحم حي**»، فلا يحجر للمراقبة بل هو نجس. لكن متى غطى البرص كل جسمه، أي أصبح في مراحله الأخيرة، فيحكم بطهارته لأن تفشي المرض يعني أن القروح ستتحول إلى قشرة بيضاء لا تلبث أن تسقط. (ع. ١٨-٢٣) هي للحكم في نجاسة الدمامل والقروح، أو في شفائها وطهارة المصاب. (ع. ٢٤-٢٨) وهي للحكم في الحروق التي اعتبرها الكاتب برصًا إذا كانت درجتها عالية، غير سطحية، وكانت تمتد (بسبب الالتهاب) إلى مناطق أخرى من الجلد. (ع. ٢٩-٣٧) تتناول مسألة القرع. بالاضافة إلى مراقبة الكاهن، كما في الأمراض (الضربات) السابقة، وحجْر المصاب لسبعة أيام، يقوم المضروب بغسل ثيابه عندما يحكم الكاهن بطهارته. (ع. ٣٨-٣٩) تتناول الإصابة بالبهاق، وهي البياض الذي يعتري الجلد. (ع. ٤٠-٤٤) تتناول مسألة الصلع. (ع. ٤٥-٤٦) إن المصاب تكون ثيابه مشقوقة، ورأسه مكشوفًا، وينادي: نجس، نجس، كي يتجنبه الآخرون، ويكون مقامه خارج المحلة، وكأنه ميت. (ع. ٤٧-٥٩) إضافات تتناول برص الثياب في الصوف أو الكتان أو الجلد، أي البقع التي تظهر عليها من فطريات أو عفن، خضراء أو حمراء، والعزل مدة أسبوعين مطلوب، وليس لهذا علاقة بالضرورة بالأمراض السابقة. وهي تدل على أن منطلق ذهنية الكاتب ليست في علم الأمراض. «**السَّدَى أو اللحمة**» في الثوب توحي بوجود طريقتين لعمل الثوب، إما قطعة واحدة أو قطعتين ملتحمتين.

١٤: ١-٥٧ تطهير جلد الإنسان والبيت نوعان للبرص: على الجلد وعلى جدران المنزل. الأول (ع. ١-٣٢)، طقوس عودة النجس لحياة الجماعة بعدما خرج خارج المحلة؛ والثاني (ع. ٣٣-٥٣) متعلق بنجاسة المنزل وتطهيره مع ملخص (ع. ٥٤-٥٧). (ع. ١-٣٢) بعد أن يخرج الكاهن لملاقاة الأبرص خارج المحلة، ويرى بأن الأبرص قد برأ، يأمر بتقديم عصفورين. واحد يُذبح في إناء عند ينبوع ماء حي، وينضح به المصاب سبع مرات؛ والآخر يُطلق بعد غمسه بدم العصفور المذبوح؛ وهذا شبيه بتيس عزازيل الذي يطلق في البرية (لا ١٦). ثم يغسل المتطهّر نفسه وثيابه، ويحلق كل شعره (رأسه ولحيته وحواجب عينيه وكل جسده) كما النذير (عد ٦)، ويبقى خارج خيمته مدة سبعة أيام، مع كونه دخل المحلة. إن شعر النذير مقدس والأبرص نجس، لكن المحرَّم يلعب غالبًا دورًا مزدوجًا: إما للبركة أو للعنة. وبعدها في «اليوم الثامن» (الخلق الجديد) يُقدِّم خروفين صحيحين ونعجة مع تقدمة دقيق. واحدة ذبيحة إثم (لكن لا تُقدَّم بطقوس اعتيادية، بل شبيهة بأيام الحرم للنذير، عد ٦: ١٢)، والثانية ذبيحة خطية (أيضًا بطريقة غير اعتيادية، إذ يُرشّ الدم على الأبرص ولا تُدهن حلمة أذنه أو إبهامه أو إصبع قدمه)، والثالثة محرقة مع التقدمة. هذا الاختلاف يعني أن ذبائح التطهر لا تتداخل مع الذبائح الأساسية ولو تشابهت طقوس تقديمها. أما إذا كان المريض فقيرًا، فيمكن أن يقدم خروفًا واحدًا لذبيحة الإثم مع دقيق، وزوجي حمام أو يمام من أجل الخطية والمحرقة. يأتي بها

www.christianlib.com

أيضًا في اليوم الثامن. وترتيب هذه الذبائح موازٍ لذبائح النذير (عد ٦: ١٣-٢٠). «يؤتى إلى باب خيمة الاجتماع»، في العهد الجديد، عتبة القدس أو رواق الكهنة، ولا يستطيع الدخول أكثر من ذلك لأنه مخصص للكهنة.

إن اليوم الثامن، لاهوتيًا، يمكن الوقوف عنده. إنه اليوم الذي يأتي بعد الخليقة (سبعة أيام)، أي إنه علامة الخليقة الجديدة، والعهد الجديد الذي يشير له أيضًا الختان في اليوم الثامن (لا ١٢: ٣؛ را. حز ٤٣: ٢٧؛ أع ٧: ٨). فبعد أن كاد المريض يموت من شدة الخطية ونجاستها، تم خلاصه في اليوم الثامن. إنه يوم القيامة أو الحياة الجديدة التي صارت للإنسان بعد أن كان يعيش خارج «المحلة» وحضور الله؛ إنه أول الأسبوع عندما ظهر المسيح للتلاميذ (مت ٢٨: ١؛ مر ١٦: ٩؛ لو ٢٤: ١؛ يو ٢٠: ١٩، ٢٦) انتهت الأزمنة القديمة وبدأت الحياة الجديدة الطاهرة.

وملفت للانتباه رتبة مسح ثلاث مناطق من جسد المريض: شحمة أذنه اليمنى، وإبهام يده الأيمن، وكذلك إبهام رجله اليمنى؛ وكأنه تقديس ما يسمع وما يعمل وما يهدف إليه في مسيره. وكذلك تطهير برص البيت (ع. ٣٣-٥٣)، أي ما صعد على جدرانه من عفن، وما طلع في شقوقه من فطريات. يُغلق البيت سبعة أيام، مثل برص الأفراد سابقًا؛ وإذا لم تذهب النجاسة، تُقلع الحجارة الملوثة، ويُقشر البيت كله، وتؤخذ الحجارة المضروبة والأتربة إلى مكان نجس خارج المحلة. وتُوضع حجارة جديدة مكانها، أو تُطهَّر بنضح دماء الذبيحة سبع مرات. وإذا عادت الضربة أو البلوى، يُهدم البيت كاملًا وتُنقل أتربته خارجًا، ويُعمَّر مكانه بيتٌ جديدٌ. (ع. ٥٧) **«للتعليم»**، أي بمقتضاها تحكمون على طهارتها أو نجاستها.

١٥: ١-٣٠ تطهّر الرجل والمرأة يُقسم الفصل ١٥ إلى قسمين أيضًا، الأول يخص تطهّر الرجل (ع. ١-١٨) والثاني تطهّر المرأة (ع. ١٩-٣١) مع ملخص (ع. ٣٢-٣٣). وتتناول بشكل عام الإفرازات الجنسية لدى الرجل والمرأة، ويكتفي النجس بالاغتسال، ولا يتطلب الأمر ذبيحة إلا في حال تماثل إلى الشفاء. (ع. ١-١٥) إن الرجل المصاب **«بالسيلان»** (ز و ب) هو نجس، سواء أفرز البدن السيلان أم احتبسه. وقد يكون السيلان طبيعيًا أو مرضيًا، في كلاهما، يكون الرجل نجسًا. وتنتقل نجاسته إلى أي شيء يلمسه أو يجلس عليه أو حتى يبصق عليه. ويتم التطهر بواسطة الاستحمام وغسل الثياب والبقاء إلى غروب الشمس نجسًا. أما العلاقة الزوجية (ع. ١٦-١٨) فهي أيضًا تتطلب الاغتسال والبقاء إلى المساء في حال نجاسة للرجل والمرأة، لكنها أقل عَدْوة من سابقتها. وكل ما يلامسه السائل المنوي يكون نجسًا، ويُكتفى بالغسول للتطهّر. (ع. ١٩-٢٤) وإذا حاضت المرأة فسبعة أيام تكون في طمثها، حتى ولو كانت دورتها أقصر من ذلك؛ وكل من يلمسها يتنجس، وما تجلس عليه كذلك، وكل من مسَّها أو لمس شيئًا جلست عليه يكون نجسًا إلى المساء بعد الاستحمام. والرجل الذي يجامعها يكون نجسًا أيضًا سبعة أيام.

(ع. ٢٥-٣٠) وفي حال استمر الحيض بعد موعده تكون نجسة كما في أيام طمثها، وتكون طاهرة بعد سبعة أيام من توقف نزفها. وفي هذه الحالة عليها أن تقدم ذبيحة فرخي حمام أو يمام في اليوم الثامن. أما ولادتها فقد وردت في ١٢: ١-٨. (ع. ٣١-٣٣) وهي خاتمة شريعة المصاب بالسيلان (السائل المنوي، والمرأة الحائض والرجل الذي يعاشر امرأة حائضًا) لأن كل ما يمت بالخصوبة والتناسل له طابع مقدس يجب حمايته من النجاسة. **«تعزلان»** (ن ز ر) كلمة مستعملة للنذير، ولم يستخدم كلمة «ب د ل» المستخدمة للبرص.

١٦: ١-٣٤ يوم الكفارة إن يوم «الكفارة» (ك ف ر ي م) تتويج لشعائر الطهورات السابقة (١١-١٥)، ويخص تطهير خيمة الاجتماع وبني إسرَائيل والكهنة أنفسهم. ويُعرف عادة بطقس تيس عزازيل، ويقع في العاشر من الشهر السابع، أي في الخريف. يُقدِّم هارون، رئيس الكهنة، تيسين في يوم الكفارة، واحد للرب وآخر لعزازيل الذي تتميّز ذبيحته كونها تُطلق في البرية عوضًا عن ذبحها. ويشبه إطلاق تيس عزازيل بعض طقوس الحضارات الأخرى كالحثية في شمال سورية وأناضوليا. كان الحثيّون مثلًا إذا أصابتهم مصيبة عظيمة أو وباء يربطون قرون الكبش بالأقمشة الملونة ويطلقونه إلى أرض الأعداء فينتقل الوباء إليهم؛ أو كما في بلاد ما بين النهرين (القرن ١٣ و١٤ ق. م)، عندما تأتي توقعات المنجمين سيئة على الملك وتهدد حياته يختارون سجينًا وينصّبونه ملكًا ثم يضعون عليه علامة ملوكية فيكون ملكًا بديلًا عن ملكهم، ويُطلق من بعدها إلى أرض بعيدة، لأن الاعتقاد كان بأن هذه الطقوس تحرف الخطر عن ملكهم وتجعله يتفادى الموت. (ع. ١) يربطنا بما حدث لابني هارون في الفصل ١٠، لكي ينتبه هارون (رئيس الكهنة وممثل الشعب) فيقترب بحرص من قدس الأقداس. (ع. ٢-١٤)، **«لا يدخل كل وقت»**، بل يدخل مرة إلى الأقداس في السنة في يوم الكفارة. **«أتراءى على الغطاء»**، هو «كرسي الرحمة» (ك ف ر ث) الذي يغطّي تابوت العهد، والجذر العبري واحد مع «الكفارة» (ك ف ر) ذلك لأن معنى كلمة «كَفَر» هو «سَتَر» أو «غطّى». والكافر هو من جحد نعمة الله (لسان العرب). والغطاء لوح من الذهب (تقريبًا ١٢٠سم × ٧٥سم) وعليه كاروبان أمام بعضهما وباسطان أجنحتهما على الغطاء (خر ٢٥: ١٧-٢١؛ قارن ١مل ٧: ٢٣-٢٨). على هارون أن يقدّم ثورًا لذبيحة الخطية، من أجل أن يكفّر عن نفسه وعن بيته حتى يتمكن من الدخول إلى المقدس. ثم يُقدِّم التيسين، واحدًا للرب، يقدمه بشكل عادي، وآخر لعزازيل له طقس خاص. وبعد تلك الذبائح يأخذ هارون المجمرة، وفيها جمر من المذبح الذي أمام الرب تحديدًا، ويأخذ في قبضته بخورًا ويدخل ما وراء الحجاب (قدس الأقداس)،

www.christianlib.com

ويبخر حتى يمتلىء المكان من الدخان ويتغطى تابوت العهد حتى لا يراه فلا يموت. ويقوم برشّ دماء الثور على التابوت. يأخذ هارون التيسين ويلقي عليهما قرعتين، واحدة للرب، وثانية «**لعزازيل**» (ع ز ا ز ل). لا نعرف تمامًا من هو «عزازيل» الذي ستُعطى له الذبيحة. فلا شرح للكلمة في الفصل ١٦، ولم تأت في أي مكان آخر من العهد القديم. وبالاستعانة بالترجمات القديمة للكلمة والتقاليد، نتساءل: هل عزازيل ملاك ساقط، كما اعتبره بعض المفسرين اليهود (١ أخنوخ ٦: ٧)، وهل هو من يضل الناس؟ أم هو هيئة شيطانية تسكن البرية، كون البرية أرضًا لا يسكن الله فيها؟ هل هو إشارة لكوكب ما أو لعبادة مثل «مولك» (انظر ٢٠: ٢-٤)؟ ترجمت السبعينية الكلمة إلى «*Apopompaio*»، وقال آباء الكنيسة بأنها تشير إلى «التيس المفلت»، وهكذا الترجمة اللاتينية استخدمت «*caper emissarius*» لتشير إلى الماعز المعزول، كأنهم جمعوا جذر الكلمة العبرية «ع ز» (وتعني «التيس») مع الكلمة «ا ز ل» (وتعني «عزل» أو «أزال»). وبالتالي عزازيل تعني «التيس المزال» أو «المعزول» في البرية. تُرى هل تكون من أجل «عزل» غضب الله؟ لكنني أميل إلى اعتبارها عزلاً لخطايا الإنسان التي تبقى ملتصقة به ولا يتركها. هو لا يستطيع أن يعتزلها كي يكون مقدسًا لله، كون الكاهن يقرّ بخطايا بني إسرَإيل بعد أن يضع يده على رأسها، فيحمل التيس كل ذنوبهم إلى أرض مقفرة. ولعل عزازيل اسم مكان يُرسل إليه التيس. لا يستطيع الإنسان أن يخلص من خطاياه تمامًا، لكن أبناء العهد يستطيعون عزلها أو إبعادها (إش ١: ١٦؛ ٥٢: ١١؛ ٢كو ٦: ١٧). (ع. ١٥-١٩) يذبح الكاهن التيس الذي وقعت عليه القرعة من أجل الشعب، بعد أن قدَّم الثور أولاً ذبيحة عن نفسه. ويرشّ الكاهن دم الثور والتيس على تابوت العهد فيكفّر عن الأقداس نفسها التي تنجّست بسبب خطايا الشعب. وهكذا يُطهِّر المذبح أيضًا برشِّ دم الثور والتيس، لأن المقدس قائم في وسط نجاساتهم. وهم كذلك عليهم أن يأتوا من المقدس، ويلتزموا الطاهر، لا خطاياهم. إن سبب عدم الوضوح في أقسام الخيمة أو الهيكل ما بين القدس وقدس الأقداس يعود لكونه مقطعًا مزيجًا بين ما كان يُمارَس في هيكل سليمان، حيث لم يكن يوجد قدس الأقداس بل مجرد قسم داخلي مقدس أمامه فناء تُقدَّم فيه الذبائح ويفصل بينهما الحجاب، وما كان يُمارَس في الهيكل الثاني، حيث أضيف قدس الأقداس ضمن رواق الكهنة. «**المذبح الذي أمام الرب**»، أشارت «المشناة» إلى أنه مذبح البخور الذي قرب تابوت العهد، لكن الأرجح هو مذبح المحرقة الذي كان في رواق الكهنة للهيكل الثاني أمام قدس الأقداس والمفصول عنه بالحجاب الثاني (قارن ١مل ٨). (ع. ٢٠-٢٨) بعد أن عزل هارون خطايا الشعب عن المقدَّسات، يقوم الآن بالتخلص منها كليًا. يَضَعُ هارون يديه الاثنتين على رأس التيس، ويُردِّدُ خطايا بني إسرَإيل، وكأنه ينقلها إلى رأس التيس، ثم يرسل التيس إلى البرية مع أحدهم للتأكّد بأنها ضاعت هناك واختفى أثرها. ولعل الاعتقاد القديم كان بأن الشر يمكن انتقاله. وعلى الأرجح «عزازيل» هو مكان تُرسل إليه، لكن المفسرين شددوا على أن التيس لا يُعطى لعزازيل كهدية أو كرشوة من أجل حرق تقدماتهم وإفسادها عندما يصعدونها للرب. بل الرب اختار التيس، وطَلَب إرساله إلى عزازيل. وبالتالي، زوّد بني إسرَإيل بالوسيلة الأفضل للتخلص من خطاياهم وبدء حياتهم من جديد. والشخص الذي أطلقه، يغتسل ويتطهّر قبل أن يدخل المحلة. (ع. ٢٩-٣٤) يكون يوم الكفارة في العاشر من الشهر السابع (تشري)، وهو يوم «**تذلّل**» وتوبة وتكفير، وبالتالي صوم. يوم مقدس بامتياز، لا يعمل فيه شيء، وأكثر من يوم سبت عادي، «**سبت عطلة**» (ش ب ث/ ش ب ث و ن) سبت السبوت: احتفال (لا ٢٣). ومعنى السبت هو الراحة (محرّم) وبالتالي يصير سبت الكفارة نهاية مرحلة ودورة، وبداية مرحلة جديدة.

١٧: ١-٢٧: ٣٤ القسم الثاني: شريعة القداسة

ويتناول هذا القسم دور الكهنة في الحفاظ على القداسة في حياة الجماعة وقضايا مسلكية أخلاقية، وتُسمَّى «شريعة القداسة». وتنتمي إلى التقليد الكهنوتي الذي يرقى عهده إلى أواخر الفترة الملكية، ويعكس شرائع وعادات هيكل أورشليم. الله قدوس منفصل عن الخليقة وهو أسمى منها في اللاويين، والقداسة تنتقل منه إلى كل شيء وكل بني إسرَإيل إذا التزموا العهد. لذلك وجب عليهم أن يسلكوا بحسب شريعة القداسة ليكونوا مقدسين. وشريعة القداسة في اللاويين هي نفسها شريعة الطهارة: الانفصال عن الدنس، وبالتالي الإعراض عن الخطية. وقد تطور هذا المفهوم عند الأنبياء، مثل إشعياء، ليضاف إلى الطهارة الطقسية طهارة القلب واللسان والآذان والعيون (إش ٦: ٣-١٣؛ را. حز ٣٦: ٢٥-٢٧؛ إر ٣٣: ٨).

١٧: ١-١٦ أولاً: الذبائح المقدسة

١٧: ١-٧: يبدأ الفصل ١٧ بمقدمة تُحرِّم الذبائح البيتية أو تلك التي كانت تُذبح خارج المحلة. الذبائح المقدسة أولاً يجب إحضارها إلى الهيكل وذبحها فيه حصرًا، وإلاّ اعتبرت جريمة قد تؤدي إلى قطع أو فصل المقدِّم. قداسة الذبيحة من قداسة المكان، والمكان هو أورشليم في الهيكل. كان بنو إسرَإيل يذبحون ذبائحهم في المنزل، ويسكبون دمها على حجر، أو يأخذونها إلى معبد قريب (كما تُسمى بالمرتفعَات)، ويسكبونها فيه. لكن مع بناء الهيكل في أورشليم صار واجبًا عليهم تقديمها فيه حصرًا (٢مل ٢٣: ٨) وما عدا ذلك هو وثن. (ع. ٥) «**ذبائحهم**» والأفضل ترجمتها «حيواناتهم» لئلا يختلط على القارئ هذه الذبائح المنزلية مع الذبائح المفروضة على بني إسرَإيل.

www.christianlib.com

«**على وجه الصحراء**» في كل مدينة أخرى، كأنها تناقض أورشليم وتتحداها. «**لا يذبحوا بعد ذبائحهم للتيوس**»، كان الاعتقاد بأن شياطين الصحراء تأخذ شكل التيوس مثل إله الإغريق *satyr*. عبادة التيس كانت من بين العبادات الكنعانية (قارن خر ٣٤: ١٥-١٦؛ ٢أخ ١١: ١٥؛ إش ١٣: ٢١؛ ٣٤: ١٤؛ ٥٧: ٧). أي تُحرِّم الذبح لغير يهوه، وأيضًا تُحرِّيم العبادة في غير أورشليم، لأن الدم يجب أن يُرشّ على المذبح فيها لا في مكان آخر، ويُحرَق الشحم هناك.

١٧: ١٠-١٤: مُنِع الذبح المحلي لكي يُمنع شرب الدم، لأن الدم يهدف للتكفير. بالنسبة لدم الحيوانات الداجنة يمكن حرقه على المذبح للتكفير. أما دم الحيوانات البرية التي «**يصطاد(ها) صيدًا**» فلا يُحرَق، بل يسفك ويغطى بالتراب. وتؤكل الحيوانات البرية الطاهرة (كما النجسة) بعد سفك دمها. تبدو الشريعة لاحقًا تساهلت بعض الشيء في أكل الحيوانات البرية النجسة شرط سفك دمها (را. تث ١٢: ٢٠-٢٥). لكن من الناحية العملية، إذا كانت كل ذبيحة يجب أن تمرّ بطقوس الذبائح في أورشليم، يصير من الصعب أكل اللحم خارج أورشليم. هل سيفكر كل من أراد أكل اللحم بالسفر إلى أورشليم؟ هذا يعني إما أن لا ١٧ تضع شريعة مثالية لا يمكن تطبيقها في الواقع، إلا إذا ذبح هؤلاء بأنفسهم بعيدًا عن أورشليم، وهذا غير ممكن بسبب الوصية؛ أو أن الوصية خاصة للبعض الذي يعيش على رقعة جغرافية قريبة من الهيكل، وهذا احتمال وارد ومحقق في حال كانت موجهة إلى مجموعة صغيرة عادت من السبي. «**دمه في نفسه**»، حياة الإنسان والحيوان في دمه، لذلك يُسفك ويُرش، ولا يُشرب. إنه المكان النادر في السفر الذي يعتبر الدم يكفّر عن الحياة، وليس للتطهير والتنقية فحسب.

١٧: ١٥-١٦: يتحدث عن أكل الحيوانات التي تموت من نفسها أو حيوان آخر قام بقتلها. أي إنَّ الدم لا زال فيها، ولم يُسفك بعد كما تأمر الشريعة (ع. ٦، ١١، ١٤)، نُفاجأ بأن الوصية لا تمنع أكلها، لكن تطلب فقط الاستحمام وغسل الثياب والانتظار قليلاً حتى مغيب الشمس. لا ضرورة للذبيحة في هذه الحالة. بينما الكهنة ممنوعون عن أكل أي شيء لم يُذبح بشكل شرعي (٢٢: ٨؛ قارن خر ٢٢: ٣١؛ تث ١٤: ١٢ وهي أكثر صرامة).

١٨: ١-٣٠ ثانيًا: العلاقات الجنسية المقدسة

يُحرِّم هذا الفصل عادات جنسية كنعانية ومصرية شائعة ويحث بني إسرَإيل على حفظ عاداتهم الخاصة بهم لأنهم شعب مقدس مفرز للخدمة وفي عهد يهوه.

١٨: ١-٥: من الصعب تحديد ما إذا كانت العلاقة الجنسية المذكورة هي خارج الزواج أم فيه، لأن المجتمع آنذاك كان يسمح بتعدد الزواجات، كما يسمح بالمحظيات والسراري. كذلك لا يمكننا القول هنا بأن الشعوب الكنعانية أو المصرية كانت أقل أخلاقًا من بني إسرَإيل، أو أن سلوك هؤلاء الجنسي كان بالضرورة مختلفًا، بل كان لكل مجتمع سلوكياته التي قد يشترك بها أو يختلف مع الآخرين. بنو إسرَإيل أتوا من الصحراء والبرية التي لها آلهتها، إلى الأرض الزراعية الخصبة التي لها آلهتها المختلفة. (ع. ٦) «**قريب جسده**»، إشارة إلى الوحدة القبلية في الجسد واللحم والدم. «ليكشف العورة»، تعبير ملطّف للأعضاء التناسلية (تك ٩: ٢٢، ٢٣؛ خر ٢٨: ٤٢؛ ١صم ٢٠: ٣٠)، أو لإباحة العلاقة الجنسية والعري (٢٠: ٢١؛ هو ٢: ١٠)، أو كشف العيوب والثغرات والضعف والهوان في القريب أو في الأرض (تث ٢٣: ١٥؛ إش ٣: ١٧؛ حز ١٦: ٣٧). «**إنها أمك**»، مع أن عشتار كانت عشيقة بعل في الطقوس الكنعانية المرتبطة بالخصب، إلا أنه يُعتقد بأنها كانت أمه أيضًا. (ع. ١٠) تحريم العلاقة الجنسية في القرابة المباشرة، كابنة الأب وابنة الأم، (ع. ١١-١٦) وتحريمها في بعض القرابات غير المباشرة، كابنة الزوجة والخالة وغيرها كزواج المرأة من شقيق زوجها (زواج السلفة، را. تث ٢٥: ٥-١٠؛ ١صم ١: ٦) وهو بالطبع لحفظ الميراث ضمن العائلة؛ (ع. ١٧-١٨) حالات أخرى تُحرِّم الزواج من بعض الأقرباء، كالمرأة وابنتها، أو المرأة وأختها، وغيرها؛ «**للضرّ**»، أي أَخْذ أخت الزوجة للضغط عليها، كأن تعدد الزوجات يجلب الضّرر لا السعادة إلى البيت، ولعله ليس من باب الصدفة سميت الزوجة الثانية ضرّة.

١٨: ١٩-٢٣: لا علاقة جنسية خارج العائلة أيضًا. أو بتعبير آخر: الطهارة خارج العائلة. نلاحظ أن كل النظام في العلاقات الجنسية يحكمه مبدأ قرابة الدم أو الجسد، وهي على ثلاثة مراتب: زوج وزوجة، ثم أفراد من رحم واحد مشترك، وأفراد من نفس الفخذ (أي من السائل المنوي لرجل واحد أو جدّ واحد). وبكلام آخر، حرّمت الشريعة انتهاك رحم الأم أو زرع الأب. «**من زرعك**»، أي لا يجوز من أبنائك الذين خرجوا منك (السائل المنوي)؛ وهي كلمة قديمة ارتبطت بالخصب والآلهة الزراعية. «**لمولك**»، منع تقديم الأبناء كمحرقة لمولك، الإله الكنعاني. أي تحريم الأضاحي البشرية. لكنه من الملفت للنظر أن تحريم المحرقات البشرية أتت في سياق شريعة العلاقات الجنسية. «**للإجازة**» ترجمتها السبعينية «للخدمة» (*latreuein*) لمولك، وفي السريانية (البشيطة) «تجعله يستلقي للجماع» أو تجبره. وبالتالي، على الأرجح، يشير العدد ٢١ إلى تكريس الأولاد (صبيان أو بنات) للإله الكنعاني مولك، لطقوس جنسية أو للبغي (لاحظ ٢٠: ٢٩؛ قارن مي ٦: ٧). وكذلك حَرَّم المثلية الجنسية ومضاجعة الحيوانات.

١٨: ٢٤-٣٠: يعود ويشدد على ترك العبادات الكنعانية لئلا «**تقذف**» (ق ي ا) الأرض سكانها، حرفيًا، «تتقيَّؤكم». أي تعود

www.christianlib.com

فتطردهم مرة أخرى بعدما أقاموا فيها. عوض أن يكونوا مثمرين ونامين في الأرض، يُقتلعون منها ويَرحلون، وكأنها صورة للسبي (٢٠: ٢٢). يبدو أن المعاصي الفردية تؤثر على كل الجماعة إذا لم تعالج.

لا تزال الثقافة القبيلة سائدة في مجتمعاتنا الشرق أوسطية، ليس من الناحية الجنسية فحسب متمثلة في زواج الأقارب لحفظ الميراث ضمن العائلة القبيلة الواحدة على قاعدة «الأقربون أولى بالمعروف»، بل في الحياة الاجتماعية والسياسية أيضًا حين تتستر القبلية في قناع الطوائف والمذاهب. فيتصرف صاحب السلطة أو الزعيم فيها بخيرات البلد على أساس كونها مشاعًا له؛ كل شي يُصرف له وبأمره. والسياسة توريث للأبناء أو للأقرباء، وكذلك الكراسي، وحتى الأحزاب التي يجب أن تكون ديمقراطية وانتخابية، تقع في فخ القبلية. ينسى الناس أن الحياة تقوم على الألفة لا على ثقافة الغزو. لذلك كان الاحتفال بالانتصار على الآخر جهلاً، والتربص له وهزيمته والانجرار للمعسكرات موتًا لنا قبل أن يكون اندحارًا للآخر، لأن الأوطان والمجتمعات تبنى بالتآلف بين المختلفين، وبالمصالحات والصفح، لا بالتناحر والعصبيات. لكننا في زمن اليافطات لا الكتب، زمن تسوده الانفعالات والعصبيات لا العقل، لأن ما هو خارج مدينتي ومدنيّتي هو البرية والخواء والأعداء، لذلك كانت الأسوار للمدن والقلاع للتجمعات. أما عندنا نحن معشر الإيمان فالقاعدة هي أن نحب كل إنسان من كل أمة أو شعب أو لسان، ونحب بالقوة الواحدة كل فرد إلى أي دين (أو قبيلة) انتمى. الأديان عندنا ليست حظائر لكي نحب من أهلنا ونكره من غيرها. إذا لم يتسع القلب لكل أصناف البشر فلسنا من أهل المسيح، ونحن لسنا بشيء (١يو ٤: ٨-٢١).

١٩: ١-٣٧ ثالثًا: كونوا قديسين

يلخص هذا الفصل سفر اللاويين، لا بل يلخص التوراة كاملةً. يُطلب من الشعب أن يكون أمة مقدسة تحفظ السبت وتكرّم الوالدين وتمارس العدل وتسعى لإعانة المعوزين وغيرها. هذه كلها صدى للوصايا العشر، وبتطبيقها يأمل إسرَإيل أن يكون أمة مقدسة وأفراده قديسين. وتنتهي كل فقرة بعبارة «أنا الرب (إلهكم)»، فتشبه بذلك ناموس العهد (خر ٢١: ١-٢٣: ٣٣) وتث ١٢-٢٤. ويُعتبر ع. ١-٤ شرائع أولية بدائية بسيطة شبيهة بالوصايا العشر تنظم السلوك الاجتماعي.

١٩: ١-٨ «تكونون قديسين»، أي تعملون بوصايا العهد وشريعة القداسة. ليس أن أحدًا لن يخطئ بعد ذلك، لكن يسعى باستمرار إلى القداسة، على الرغم من أخطائه، لأن الرب قدوس (لا ١١: ٤٤-٤٥؛ ٢٠: ٧، ٢٦؛ مت ٥: ٤٨؛ ١كو ١: ١٠؛ ١٤: ٢٠؛ يع ١: ٤؛ ١بط ١: ١٦). لا شك أن الشريعة أدركت عطب الإنسان فأعطته الشريعة حلًا لأخطائه وإصلاحًا لها بتقديم الذبائح. الطبيعة البشرية تلطخت وفسدت، لكنها ما صارت عدمًا أخلاقيًا. أراد الرب من الإنسان اعتزال الخطية. ليس في البشرية فساد شامل، فقبل اليوم الأخير ليس من بشرية مكتملة، لكن الإنسان يستطيع أن يرقى في سلم القداسة. الإنسان مكسور ولا يظهر مقدسًا إلا بفضل ربه. «**آلهة مسبوكة**»، يُحرّم خر ٢٠: ٤ عمل الصور والتمثال، بينما تثنية ٥: ٨ يحرم الصور المصنوعة من الخشب أو الحجارة في محاولة لتجسيد الله. (ع. ٩-١٠)، يهتم بالفقراء، ويَطلب عدم حصد أطراف الحقول. «**لا تُعلّله**»، أي اترك شيئًا من العنب معلقًا، ولا تقطفه كاملًا، من أجل الغريب والمسكين (٢٣: ٢٢؛ تث ٢١: ٢٤؛ إر ٦: ٩). وكذلك بالنسبة للنثار الذي سقط أثناء الجمع، أو بحسب «المشناة»، العناقيد الفرعية المنفردة التي ليست أساسية في الكرمة.

١٩: ١١-٢٢: يتابع هذا المقطع ع. ١-٤ نواة شريعة الوصايا القديمة: لا تكذب ولا تسرق ولا تغدر ولا تحلف باطلًا، ولا تغضب ولا تسلب ولا ترجئ دفع أجرة، ولا تشتم ولا تحابي ولا تظلم ولا تتحيز ولا تشي ولا تبغض أخاك، ولا تنتقم ولا تحقد، بل تحب قريبك كنفسك التي هي كمال الناموس كما صرح العهد الجديد (رو ١٣: ٩؛ غل ٥: ١٤؛ يع ٢: ٨). «**في قلبك**»، لا تضمر الضغينة في فكرك أيضًا. القريب بحسب التوراة هو اليهودي الآخر من بني إسرَإيل، وكذلك الغريب، التي تعني أيضًا عابر السبيل، وليس بالضرورة الأممي. بينما في العهد الجديد، واضح أن القريب تشمل العدو، لا القريب من نفس العائلة أو الوطن فحسب (لو ١٠: ٣٦-٣٧). «**لا تُنَزِّ**» أي لا تزاوج ولا تولّد بهائمك من نوعين، ولا تلبس صنفين، ولا تزرع شكلين، لأن الفصل والعزل في القداسة مبدأ أساسي (را. ٢٢: ٥، ٩-١١ الذي يذهب أبعد من فصل الحيوانات والزرع واللباس) كما في الخلق الأول حين عزل الرب الظلمة عن النور والليل عن النهار وفصل الأنواع واليابسة عن البحر. ويضيف تحريم مضاجعة الأَمَة التي يملكها شخص آخر (ع. ٢٠-٢٢)، لا من أجل كرامتها، بل لأجل حفظ العائلة الواحدة والأسباط. الفكر قَبَلِيٌّ بامتياز. «**فليكن تأديب**»، كون الأَمَة لم تُشترَ من صاحبها، ولا صاحبها منحها الحرية، وهي ليست حرة من ذاتها. أي يُعاقَب الجاني، ويُقدِّم ذبيحة إثم لأنه أضرّ بالآخر، ولا يُقدِّم تعويضًا لأن الضرر غير خاضع للتعويض.

١٩: ٢٣-٢٥: وتتناول شريعة غرس الأشجار الجديدة في أرض كنعان. الشجرة وثمارها محرّمة «**غلفاء**» (ع ر ل) في «**غرلتها**»، حرفيًا غير مختونة، لا يؤكل منها لثلاث سنوات؛ وكأنها في فترة رعاية وتطهير حتى تولد في السنة الرابعة. «**قدسًا لتمجيد الرب**»، في السنة الرابعة تكون ثمار الأشجار الجديدة مخصصة للرب، أو ذبيحة له.

www.christianlib.com

١٩: ٢٦-٣٧: محرّمات متنوعة. «**لا تأكلوا بالدم**»، أي أكل اللحم بدمه؛ وفي السبعينية: «لا تأكلوا فوق الجبال»، أي ما ذبح على المرتفعات للآلهة الأخرى، ما عدا ما ذبح فوق جبل صهيون. «**لا تتفاءلوا ولا تعيفوا**»، لا تمارسوا العرافة والتنجيم (تك ٤٤: ٥؛ قارن ٢مل ٢٣: ٢٤). ولا تقصوا رؤوسكم حول أطرافها، لعلها عادة لتقديم الشعر للأموات من أجل حفظ نفوسهم في عالم الأرواح. «**لا تُفسد عارضَيك**»، أي لا تقص شيئًا من لحيتك (وما زال اليهود المتدينون حتى اليوم يمارسون هذا الأمر)، أو كما في السبعينية: «لا تُفسدوا شكل لُحاكم». شعر الرأس والوجه مقدس، فيُحرّم العدد ٢٧ و٢٨ الحزن المفرط على الأموات (٢١: ٥). ولعل جرح الأجساد ونزف الدماء يجعل أرواح الأجداد في معتقد القدماء حية؛ أو أن رسم الوشم وحفره على الجسم يجعل ذكرى الراحلين باقية. كانت هذه العادات الخاصة بالأموات وتكريمهم والوقوف في حضرتهم منتشرة في الحضارات القديمة كالمصرية واليونانية كما عند بني إسرَإيل وغيرهم (قارن إش ٣: ٢٤؛ إر ١٦: ٦؛ ٤١: ٥؛ ٤٧: ٥؛ ٤٨: ٣٧؛ عا ٨: ١٠؛ أي ١: ٢٠) ولعل بقاياها لا تزال إلى اليوم، فمنهم من كان يعبد الأجداد ويقدم القرابين للآباء أو عنهم. وقد أمر الرب بتكريم الأب والأم، لا بعبادتهم. «**غريب في أرضكم**»، مرة ثانية يشدد على حسن معاملة الغريب، أو اللاجئ هربًا من الحروب والدمار بلغة اليوم، بل المقيم من أسباط أخرى أو شعوب أخرى. تحبه كنفسك، وتعامله بالحق من جهة القياس والوزن والكيل، ويُذكّر الكاتب بني إسرَإيل بأنهم كانوا قبلًا غرباء في مصر (خر ٢٢: ٢٠؛ تث ٢٥: ١٣-١٩؛ عا ٨: ٥؛ إش ١٠: ١).

٢٠: ١-٢٧ رابعًا: عقوبات الخطية

إن الفصل ٢٠ يكرر بشكل عام الفصل ١٨، ويوازي بشكل خاص الفصل ١٩ بشريعة العلاقات الجنسية بين الأقرباء.

٢٠: ١-٨: عقوبة من يعطي «**زرعه لمولك**» (انظر ١٨: ٢١) الموت بالرجم، وهي أقسى عقوبة مهينة يمكن أن يتلقاها الجاني. تَرجمت السبعينية «مولك» بكلمة «حاكم»، ربما لأنها قريبة من كلمة «مَلك»، اتخذ صفات الألوهية لنفسه. والعقوبة المضافة معنوية: «**وجهي ضد ذلك الإنسان**»، فلا حياة ولا بركة لذلك الإنسان، تمامًا كما كان قايين تائها وهاربًا في الأرض، وكل من وجده يقتله، أي يصير عدوًا للرب (تك ١٩: ١٤؛ قارن ٣٣: ١٠؛ خر ٣٣: ١٥؛ أي ١٣: ٢٤؛ مز ١٣: ١؛ ١٤٣: ٧... وما يليه) «**وضد عشيرته**». في الفكر القبلي، تُعتبر خطيئة الفرد جماعية. لأنهم غضّوا النظر عن خطيئته صاروا مشتركين فيها. لا شك أن مولك كان منافسًا قويًا ليهوه خاصة لارتباط طقوسه بعشتار والزراعة. تنزل اللعنة على أهل بيت من يعبد مولك، وكذلك من يلتفت إلى الجان والتوابع ليقدسها ويزني وراءها (١٩: ٢٦).

إن معظم العالم العربي اليوم قائم على مكونات هي في مكان قبلية وفي آخر طائفية وفي ثالث عرقية (أفارقة أمازيغ عرب أرمن أكراد آشوريين ... وما يليه) فإذا أخطأ واحد من تلك المكونات عمم الناس ذلك على الجماعة وحكموا عليها. وإذا كانت خطيئته مثلًا أنه قتل أحدهم، يقوم أقارب القتيل بقتل القاتل أو قتل أحد من عائلته دون أن يتركوا للدولة حق القصاص. وتزداد هذه الظاهرة كلما ضعفت الدولة. في الفكر القبلي الإنسان مهووس بنفسه وبأصله ونسبه فيستقوي بها وبعصبية الأرحام. لكن هذه العصبية تحجّر النفس وتغلقها على الجماعات الأخرى، فرونق الحياة في المشاركة، كما أن الإنسانية مجتمع للتلاقي والتّحاب، وفي المسيح لا يهودي ولا يوناني، لا ذكر ولا أنثى، لا عبد ولا حر، لأن الكل واحد فيه (غل ٣: ٢٨).

«**تتقدسون.. أنا الرب مقدِّسكم**»، كما ذكر في ١٨: ٣و٤ أن يعزلوا أنفسهم عمّا يعمل المصريون والكنعانيون (را. ١٩: ٢). القداسة خلوّ من الخطية، وهي مرادفة لاسم الله الذي يكره المعصية ويطلب القداسة. عندما فشل الإنسان في حفظ قداسته التي خلقه الله عليها ليكون على صورته ومثاله (رو ٥: ١٢)، صارت القداسة مقرونة في المسيح (رو ٦: ١٩؛ ١كو ١: ٣٠): الله نفسه ووحده قادر على أن يقدسنا. إن نفس الإنسان ابتُليت بالفساد وروحه اعتراها الضلال وفشل في صون مبادئ الرفعة في الأخلاق وفي السلوك والطهارة في تدبير شؤونه وتسلطت عليه المنافع الذاتية والأنانية وشهوات الاستئثار بالسلطة، فصارت نفس الإنسان عصية على الإصلاح بسبب ما أصابها من انعطاب بنيوي، وأصبحت الخطية لصيقة به؛ لذلك كان المسيح وحده مصدر القداسة. وحده المسيح تجاوز ارتباكات النفس وسقطاتها وغلب جميع أصناف الإفساد والاعوجاج، فصار الإنسان به قادرًا على القداسة، وبنعمته قادرًا على استنهاض ضميره والتزام الصدق والاستقامة الإنسانية الكاملة، وأهم شيء «محبة القريب» (ع. ١٨). للإنسان أن يحقق أشياء كثيرة في حياته لكن إن لم يكن ساعيًا للقداسة فليس بشيء. لكن إن أحب المسيح وسعى إليه ولم ينل شيئًا آخر من هذا الوجود يكون قد أدرك غاية الحياة، فليس من خسارة إلا خسارة محبته. إذًا ما من قداسة معزولة عن المسيح، وهي ليست من صنع البشر، بل تأتي منه لأنه المرجع الذي نقتدي به فنخلص (را. يو ١٩: ١٧؛ ١كو ١: ٢؛ عب ٢: ١١).

٢٠: ٩-٢١: هذه الشرائع شبيهة لـ١٨: ٦-٢٣، وتنزل العقوبة أيضًا على من شتم والديه، أو زنى. ويُقتل الزاني والزانية. لا بل أحيانًا «**بالنار يحرقونه وإياها**» (ع. ١٤). وعقوبة أخرى ملفتة للنظر: «**يكونان عقيمين**» (ع. ٢١)، بالطبع هذا تفسير كهنوتي غير

www.christianlib.com

عادي للعقم كعقوبة من الرب، خاصة إذا تذكّرنا أن معظم الآباء كانوا عقيمين. لكن ليس بالضرورة أن نفهم العقم حرفيًا. انظر مثلًا كيف اعتبر إرميا يهوياكين (أو كنياهو، ٢٢: ٣٠) عقيمًا، على الرغم من أن له أولادًا (١أخ ٣: ١٧ وما يليها). وقد ترجمتها السريانية (البشيطة): «منفيَّين» أو «منبوذين»، مجرَّدين من حقوق انتمائهما وشرفهما وامتيازيهما.

٢٠: ٢٢-٢٦، «تقذفكم الأرض»، مصطلح نادر (انظر ١٨: ٢٤-٣٠؛ وقارن إش ٢٨: ٨؛ إر ٢٥: ٢٧)، لكن مرة أخرى تأتي في اللاويين مع شرائع تُحرم بعض العلاقات الجنسية بين الأقرباء. من المعروف أن إثمار الأرض ارتبط ببعض الطقوس الجنسية لدى الكنعانيين، فالأرض عوضًا عن أن تعطي لبنًا وعسلًا، ستطردهم وتعطيهم شوكًا وحسكًا (عب ٦: ٧-٨). «**ترثون أنتم أرضهم**»، اعتمد البعض التفسير السياسي القومي هنا، فاعتبر أن الرب قد طوّب الأرض لبني إسرَإيل. لكن الأمر ليس كذلك. الله أعطى الأرض للإنسان ليحيا فيها مع الآخرين، «لتسكن فيها»، لا ليحتفظ بها لنفسه أو يفني غيره ويبيدهم. الرب ليس عنده أرض، كل الدنيا هي أرضه (مز ٢٤: ١)، وهو ليس حليفًا لأحد ضد أحد. أما الأنبياء فقد اصطدموا بشدة بفكر الميراث والاختيار الخاص والأيدولوجيا المقدسة للأرض والشعب. الله نفسه يأمر الكلدانيين في سفر إرميا، مثلًا، ليحاربوا أورشليم ويحرقوها بالنار (٣٤: ٢٢). «إن كنتم.. تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها، فإني أقطع إسرَإيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها، والبيت الذي قدسته لاسمي أنفيه من أمامي» (١مل ٩: ٦، ٧؛ را. تث ٢٨: ٣٧؛ إر ١٨: ١٦؛ ١٩: ٨؛ ٢٩: ١٨). وفي العهد الجديد، جسد المسيح صار أرض الرب والإنسان هيكله المقدس (١كو ٣: ١٦). و«أرض الراحة» صارت في الإصغاء إلى كلام الله (عب ٤: ١٠-١١) سكن الله فينا بالروح القدس، لأن بني إسرَإيل لم يذوقوا الراحة بدخولهم كنعان، بل كان دخولهم صورة مسبقة لدخول الراحة في الله (عب ٤: ٧-٨). «**ميّزكم.. ميّزتُكم**» (ب د ل)، أي أفرزهم وخصصهم من بين الشعوب لأجل خدمته، وتقريب الآخرين إليه. لا لكونهم أكثر من سائر الشعوب بل من محبة الرب (خر١٩: ٦؛ تث ٧: ٦-٧؛ ١بط ٢: ٩). هم شعب كهنة (إش ٦١: ٦)، إن جاز التعبير، لخدمة إخوتهم، لا للاستعلاء عليهم وقهرهم. (ع. ٢٧) لعلها خاتمة ٢٠: ١-٦، فيبدأ الفصل وينتهي بالموضوع نفسه.

٢١: ١-٢٤: ٢٣ خامسًا: شرائع الكهنوت المقدسة

ارتبطت الفصول ١٧ إلى ٢٠ بقضايا قداسة الشعب والجماعة، أما هنا فإن الفصول ٢١ و٢٢ و٢٤: ١-٩ تتناول قداسة الكهنة. يحتاج الكهنة إلى القداسة لأنهم يقتربون من المقدسات ومن يهوه، وهذه تتطلب ترتيبات إضافية عليهم مراعاتها. وعليهم أيضًا مراعاة قيود أخرى عامة مثل لمس الأموات وترتيبات زواجهم وخدمة الخيمة وتحضير خبز الوجوه وغيرها.

٢١: ١-٢٤ الكهنة ورئيسهم ويُقسم إلى قسمين: الأول ع. ١-١٥ مخصصة لكل الكهنة، بينما ع. ١٦-٢٤ مخصصة لهارون (رئيس الكهنة). ولعل السبب في توجيه الكلام إلى هارون وحده كونه يختار الكهنة لتقديم الخبز المقدس.

٢١: ١-٩: من المفترض أن تكون كل جماعة بني إسرَإيل مقدسة، لكن على الكهنة أن يكونوا أشد التزامًا من أي شخص آخر. «**ميت في قومه**»، مس الميت نجس (عد ٦: ٩؛ ١٩: ١١-١٣؛ حز ٤٤: ٢٥-٢٧) لا يشارك الكاهن في دفن أحد من قومه، إلا إذا كان من عائلته المباشرة. أي تتقلص مساحة نشاطه في الحياة العادية مع الناس ليبقى في الطهارة الطقسية، كون لمس الميت يفرض سلسلة طقوس تطهّرية تؤخر عمله وتحجبه عن الأمكنة المقدسة. «**العذراء القريبة**»، يجعل الزواجُ المرأةَ من جسد الزوج (تك ٢: ٢٣) ويفكّ انتسابها إلى أقاربها. العدد ٤ عسير، ترجمتها البيسطرية: «أما الذين ينتسبون إليه بالزواج فلا يتنجس بدفن ميت منهم»، أي لا يستطيع دفن حتى زوجته أو زوجاته. لكن على الأرجح، لا يقصد بالعدد زوجته لأنها لا تُذكر على الإطلاق في أي مكان آخر (خر ٢٠: ١٠)، بل أخته، فتصير الترجمة بعد مراعاة العدد ٣ والتعديل: «ولا ينجس نفسه أيضًا بدفن أخته المتزوجة». وبالتالي لا يشترك في الحداد: قص شعر الرأس واللحية أو تشطيب الجسد (١٩: ٢٧-٢٨؛ إش ٢٢: ١٢؛ عا ٨: ١٠؛ مي ١: ١٦؛ را. إر ٩: ٢٦؛ ٢٥: ٢٣؛ ٤٩: ٣٢). بحسب حز ٤٤: ٢٦ يُحرَم الكاهن سبعة أيام من خدمة المقدس إذا مسّ ميتًا. «**طعام إلههم**»، أو خبز إلههم. «**مقدسين يكونون**»، مفرزين ليهوه، فلا يتنجسوا شعائريًا بأيٍّ مما تفرضه الحياة العملية كغيره من الناس العاديين. «**مقدَّسًا يكون عندك**»، قداسة الكاهن مسؤولية كل الجماعة أيضًا. «**بالنار تُحرَق**»، ملفت للنظر حرق ابنة الكاهن في حالة الزنا، ونادرة، لكنها أعظم العقوبات ترويعًا، وهي نفس عقوبة الرجل الذي يضاجع امرأة وابنتها (٢٠: ١٤).

٢١: ١٠-١٥: لا يتحدث العهد القديم كثيرًا عن رئيس الكهنة، لكننا نعلم بأن موقعه صار شديد الحساسية بعد السبي عندما لم يعد هناك ملك (لا ١٦). القوانين أشد صرامة عليه مما هي على الكهنة العاديين: لا يستطيع المشاركة في دفن حتى أبيه أو أمه، وبالتالي لا يشترك في أي طقس جنائزي. ولا يخرج من المقدس لئلا يتعرض بالخطأ إلى النجاسة فتتدنس به المقدسات التي على تماس به، والسبب لأن «**مسحة إلهه عليه**»، معيّن من إلهه ليكون مقدَّسًا ويدخل إلى الأقداس وحده ليكفر عن خطايا شعبه. بدونه تتعطل الذبائح. «**يتخذ عذراء من قومه**»، لحصر رئاسة الكهنوت في عائلة واحدة،

www.christianlib.com

فلا يُدخل دمًا غريبًا في عائلته، ولأن «**زرعه**» ونسله يجب أن يبقى مقدسًا في الأجيال القادمة، وبالتحديد نسل صادوق «حراس المقدس» (حز ٤٤: ١٥؛ را. ٢أخ ٣١: ١٠؛ حز ٤٠: ٤٦).

٢١: ١٦–٢٤ كما أن الذبائح يجب أن تكون بلا عيب وصحيحة، كذلك الكهنة، يجب أن يكونوا على خلق كامل، بلا عيب في أجسادهم وبدون عاهات بدنية، لأن ذلك قد يعيق تقديم الذبائح بشكل لائق ويمنعه من الاقتراب من الله في القدس. ويُعدّد الكاتب تلك الصفات في الوجه والبدن والأطراف. «**لا أفطس**» (خ ر م)، حرفيًا، بلا خرم أو ثقب. بتعبير آخر: غير مشوه الوجه والأنف، ولا الأذن أو الشفاه. «**الزوائدي**» (س ر ع)، أو مشرع اليدين والرجلين. بمقارنة ٢٢: ٢٣ نَعرِف بأن الزوائدي عكس القزم، أي من له أطراف طويلة أكثر من الطبيعي. «**الأكشم**» (د ق)، مدقوق الأنف أو ناقص الخَلْق كالقزم صغير الجسم. وكذلك إذا كان لديه عيوب في النظر. «**أكلف**» (ي ل ف ث) البقع التي تعلو الوجه كالسمسم. وأي كاهن فيه عيب مما ذكرته اللائحة، فلا يُقدِّم «**خبز إلهه**» في قدس الأقداس (الهيكل الثاني) لكنه يستطيع أن يأكل منه. «**أنا الرب مقدِّسهم**»، وإن كان الكاهن كامل الأوصاف فهذا لا يمنحه القداسة، بل الرب هو من يعطيها للذي يشاء.

٢٢: ١–٣٢ بعض شعائر اشتراك الكهنة في القرابين يتابع هذا الفصل ما سبقه في الفصل السابق قضية الذبائح المقدسة وكيفية تقديمها. يدعو الكاتب الكهنة إلى الانتباه لقداستهم والمشاركة في حصصهم من الذبائح التي يقدمها بنو إسرَإيل.

٢٢: ١–٩ «أقداس بني إسرَإيل» أي تقدماتهم وذبائحهم. على الكهنة أن لا يأكلوا منها أي شيء ما لم يكونوا طاهرين. إذا كان الكاهن نجسًا بسبب سيل في جسده أو برص أو مسّ ميتًا أو دبيبًا أو غير ذلك، فعليه أن يمتنع عن أكل الأقداس (القرابين)، وأن يتطهر سواء لفترة قصيرة حتى المساء، كما في حالة السيل، أو لفترة طويلة، كما في حالة البرص. هذه قرابين مقدسة ويجب أن تؤكل من المقدَّسين. أما إذا كان الكاهن طاهرًا فـ «**يأكل من الأقداس لأنها طعامه**». لا يستطع الكهنة دائمًا إنهاء أكل حصصهم في اليوم ذاته، فيأكله في اليوم التالي، لكن بالمبدأ، لا يجوز أن يبقى منه شيء إلى الغد (لا ٧: ١٦؛ ١٩: ٦–٨).

٢٢: ١٠–١٦ إن ذبائح بني إسرَإيل لا يأكل منها الكاهن فحسب بل أيضًا أفراد أسرته وعائلته «**المولود في بيته**»، وأيضًا من اشتراه الكاهن بماله وأتى به إلى البيت، فهذا أيضًا يستطيع الأكل من الذبائح، لأن الأسرة تشمل العبيد في العهد القديم. أما «**الأجنبي**» («زر» أو الزائر) و«**النزيل**» (ت و ش ب) و«**الأجير**» («س ك ي ر» الذي يُدفع له الأجرة لقاء عمله، لا العبد) عند الكاهن فهم دخلاء وغرباء، لا يجوز إطعامهم من الأقداس، وكذلك ابنته المتزوجة. وإذا أكل سهوًا منها، فعليه أن يدفع للكاهن قيمتها كاملًا وفوقها خُمس القيمة (قارن ٥: ١٤–١٦).

٢٢: ١٧–٢٥: مثلما تم اختيار الكاهن بدون عيب في جسده، هكذا الذبائح يجب أن يختارها المقدِّم صحيحة وبلا عيب. فأي ذبيحة فيها علة أو مرض أو نقص، لا تُقبل مهما كانت. غير أن هذا الكلام ليس بالمطلق، فالذبيحة الطوعية أو «**نافلة**» (ن د ب ا) يمكن تقديمها في حال كانت غير صحيحة وفيها عيب أو زوائدية أو غير مكتملة (٧: ١١–١٨؛ ٢١: ١٨). لكنها لا تُقبل في حال كانت وفاءً لنذر. من حيث المبدأ، كل الذبائح يجب أن تكون صحيحة: المحرقة والنذرية والنافلة. «**مرضوضة الخصية**» (٢١: ٢٠)، ذبيحة ذكرية صحيحة، لأن الخصوبة والإثمار والأرض ارتبطت بنظام الذبائح، كذلك لا يُقبل خبز التقدمة من ابن الغريب.

٢٢: ٢٦–٣٠: وهذه مجموعة أخرى من الذبائح غير المقبولة. فلا يُقدَّم مولود الماشية قبل ثمانية أيام، أي لا يُقدَّم قبل أن يكون له حياة في ذاته (خر ٢٢: ٣٠)؛ ولا تذبح البقرة وابنها في يوم واحد، وذبيحة الشكر تؤكل في يوم تقديمها ولا يبقى منها شيء للغد. أما الذبيحة الطوعية وذبيحة النذر فيمكن أكلهما في اليوم التالي (٧: ١٦). (ع. ٣١–٣٣) خاتمة، وتتكرر عبارة «**أنا الرب مقدِّسكم**»، وبأن يهوه أخرجهم من مصر. إنها تذكير بمعنى خروجهم من مصر، وهي قداستهم، أي فرزهم لخدمته كي يعبدوه ويكون لهم إلهًا. إنه التفسير الكهنوتي للخروج. التذكير جزء من التعلم: ابتعاد عن عمل الخطايا والتزام القداسة. لا شك أن انطباق المواصفات على الكاهن، وتطبيقه كل الشرائع لا يعفيه من الخطأ غير المقصود، وهذا ما عبر عنه يسوع حين قال: «أَوَمَا قرأتم في التوراة أن الكهنة في السبت في الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء؟» (مت ١٢: ٥). لذلك كانت القداسة لا تأتي من الأعمال بل من الرب المقدِّس.

٢٣: ١–٤٤ الأعياد والاحتفالات المقدسة بعد تقديم الشرائع الأخلاقية في الفصل ١٨ و١٩ والشرائع الطقسية للذبائح والكهنة في الفصل ٢١ و٢٢، يضع الآن التقويم الليتورجي السنوي. إنّ الفصل ٢٣ واحد من تلك المقاطع في العهد القديم التي تضع لوائح الأعياد والمناسبات الدينية التي معظمها لها جذور زراعية (قارن خر ٢٣: ١٤–١٧؛ ٣٤: ١٨–٢٦؛ تث ١٦: ١–١٧) لكنها الأوسع هنا (انظر حز ٤٥: ١٨–٢٥ وواجبات «الرئيس») ولعلها اختصار للائحة في سفر العدد ٢٨–٢٩. وهي: السبت، وأعياد الحج الثلاثة الأساسية (الفطير، والأسابيع، والمظال) وغيرها كالفصح والأبواق ويوم الكفارة. أمامنا خمسة مقاطع:

٢٣: ١–٨ «مواسم الرب» (م و ع د ي م) أو الأزمنة المقدسة، جوهرية وأساسية في الحياة الروحية والاجتماعية. «**محافل مقدَّسة**» (م ق ر ا – ق د ش)، أي يوم عطلة وتُعامل معاملة يوم

www.christianlib.com

السبت. لا تشديد في السبت على راحة الإنسان (را. مر ٢: ٢٧؛ عب ٤) بل تذكير بأعمال الرب الخلاصية. «**اليوم السابع**»، يوم السبت أول المحافل أو الأعياد، وتعني الراحة، لا يُعمل فيه شيء ما عدا ما يجب أن يأكله الإنسان (خر ١٢: ١٦). مع أن السبت ليس من المواسم بالمعنى الدقيق لكونه يتكرر كل سبت لا كل سنة، لكنه يبقى محفلًا من الأعياد، ووجوده مع المواسم يشير إلى موازاة أهميته بهم، وهذا أتى خلال السبي وما بعده (را. إش ٥٦؛ نح ١٣: ١٥-٢٢). «**الفصح**» (ف س ح)، أي مرَّ وعبر فوق الذبيحة؛ وهي عادات لا تزال تمارس إلى الآن في بعض مناطق الشرق الأوسط أثناء ذبح الخراف في الأعياد وغيرها، وأحيانًا من أجل جلب الحظ وطرد الشر، شبيهًا بالعادات البدوية التي تضع دماء الذبائح على الخيم لإبعاد الأرواح الشريرة والضربات. والفصح على أهميته كذكرى لخلاص بني إسرَائيل وتحريرهم من فرعون، يمر سفر اللاويين عليه مرور الكرام، وصامت عنه في أماكن أخرى. يُحفَظ في الرابع عشر من الشهر الأول (أبيب/نيسان) بحسب التقويم الذي يعود إلى ما بعد السبي، أي بحسب تقويم حضارة ما بين النهرين. وفي اليوم التالي، أي في الخامس عشر منه، «**عيد الفطير**» (ح چ/ م تص و ث). ويُقدَّم خروف «**بين العشائين**»، على الأرجح تعني بين غروب الشمس وقبل شروقها في اليوم التالي (خر ١٢: ٦ و١٠). بعض الترجمات (كالأخبار السارة) قالت: «في مساء اليوم الرابع عشر منه إلى مساء اليوم الخامس عشر فصح للرب» (لكن را. خر ١٢: ١-١٤؛ تث ١٦: ١-٨). ويبدو أن الفصح والفطر متحدان هنا نظرًا لقربهما من بعض (خر ٢٣: ١٨؛ ٣٤: ٢٥؛ لكن انظر عد ٢٨: ١٦-٢٥) ويجريان في الهيكل (لا الخيمة). ومدة العيد سبعة أيام، يؤكل فيه الخبز فطيرًا، ولا يُسمح بأي شيء فيه فطير. ويُفتتح العيد باحتفال عشاء وليمة الفصح ليلة ١٤ أبيب/نيسان بحسب التقويم اليهودي القمري - الشمسي، وفي اليوم التالي يكون يومًا مقدسًا مثل السبت، وكذلك اليوم السابع والأخير يكون يومًا مقدسًا مثل يوم السبت.

٢٣: ٩-٢٢ «حزمة أول حصيدكم» (ع م ر) تقدمة باكورة الثمار أو إلى الكاهن. ويأتي الاحتفال خلال عيد الفطير، ويحرك الكاهن الحزمة تحريكًا في «**غد السبت**»؛ يردّد الكاهن على الأرجح الحزمة بعد اليوم الأول من عيد الفطير، كون هذا اليوم مع اليوم السابع الأخير يُعاملان كيوم سبت. السبت تعني أيضًا سبعة أيام، أسبوع. أي تُقدَّم الحزمة يوم ١٦ أبيب أينما وقع في الأسبوع؛ ويُقدَّم معها محرقة، خروف لم يتجاوز السنة، مع دقيق ملتوت بزيت، و«**هين**» (حوالي اللتر) من الخمر. ولا يأكلوا خبزًا ولا فريكًا ولا سويقًا (سنبلًا طريًا) إلى أن يقرّبوا قرابينهم. وبالتالي يبدأ أول الحصيد بعد أسبوع سبتي (الفطير) ويستمر سبعة أسابيع، ومنها «**تحسبون خمسين يومًا**». لذلك سمي أيضًا بعيد الخمسين، أو «عيد الأسابيع» («ح ج/ ش ب ع ث»؛ خر ٣٤: ٢٢)، ولا يأتي في يوم محدد من الشهر، بل يجب أن يمر العد على سبعة سبوت، ابتداء من أول يوم لتقديم باكورة الحصيد. ولاحقًا أعطي الاسم اليوناني *pentekoste*، والعربي «العنصرة»، وصار يُحتفل بالأسابيع يوم الأحد، ثم ثبت في ٦ حزيران (يونيو) أو «سيڤان» بحسب التقويم العبري المعاصر. وبالنهاية صار يوم عيد الأسابيع هو نفسه الاحتفال بأول أبكار الحصيد (قارن خر ٣٤: ٢٢). ونعلم من التفاسير اليهودية اللاحقة بأن التوقيت كان موضع جدل. هل نَعُدُّ سبعة أسابيع ابتداء من ١٥ أبيب، أم نَعُدُّ سبعة سبوت ابتداء من أول يوم في الأسبوع؟ وقلنا بأن هذا يعتمد أيضًا على تحديد يوم ترديد حزمة أول الحصيد. ترجم البعض الكلمة العبرية «ش ب ع/ ش ب ت و ت» بعبارة «سبعة أسابيع»، وهذا يعني أن كلمة «السبت» أتت بمعنى «الأسبوع»، وهذا نادر جدًا، ويرد هنا فقط من كل العهد القديم؛ بينما البعض الآخر ترجمها «سبعة سبوت»، وبالتالي السبت يعني «يوم السبت»، وهو أمر أرجح. لعله بعد مرحلة الهيكل الثاني بدأت بعض فئات اليهودية بعدِّ الأسابيع اعتبارًا من يوم ثابت، كما أشرنا. وتُقدَّم في عيد الأسابيع ذبائح وتقدمات خاصة: رغيفين من الخبز مخبوزين من دقيق معمول من الحصيد الجديد، «**ويخبزان خميرًا**». هي المرة الوحيدة التي يُقدم فيها شيئًا مخمرًا للرب، ولا يُذكر شيء عن إحراقهما فوق المذبح. بالإضافة إلى سبعة خراف صحيحة حولية، يُقدَّم ثورًا وكبشين للمحرقة، وتيسًا للخطية، وخروفين لذبيحة السلامة. «**مع خروفين**» (ع. ٢٠)، لا يُردَّد عادة خبز الباكورة (أول الحصيد) مع الخراف. لذلك حاولت الترجمة اللاتينية تصحيح ذلك فحذفتها. «**في جميع مساكنكم**»، أي على الأرجح في أورشليم.

٢٣: ٢٣-٢٥ «تذكار هتاف البوق»، أو عيد الأبواق (ح د ش) والهتاف، ويبدأ في اليوم الأول من الشهر السابع (تشرين الأول - أكتوبر)، في بداية السنة العبرية، ليلة اكتمال البدر، واكتمال جمع الحصيد في الأهراء. يُبوّق في عيد الأبواق بقرن الكبش (أو أبواق الفضة، عد ١٠: ١-١٠)، إلا إذا وقع العيد يوم سبت فلا يُبوّق خارج الهيكل. ويعلن بداية الحج الخريفي (يوم الكفارة والمظال). تُجمع الأثمار وتُزرع البذور في الأيام القريبة من عيد الأبواق ويُقرَّب «وقود» للرب (قارن مز ٨١: ٤، لم تُذكر هنا، وردت في عدد ١٩: ١-٥).

٢٣: ٢٦-٣٢ «يوم الكفارة»، (ي و م - ه ك ف ر ي م) ويقع في اليوم العاشر من الشهر السابع، وقبل عيد المظال بخمسة أيام. «**تذللون نفوسكم**»، أي تصومون. هو يوم صوم واتضاع وتكفير عن خطايا الأمة جمعاء. وهو الصوم الوحيد المطلوب من العبرانيين بحسب الناموس، ويسمى «الصوم» (أع ٢٧: ٩). هو يوم ملزم للجميع، فمن يخالف شريعة يوم الكفارة يُقطع من شعبه،

www.christianlib.com

نظرًا لأهميته الكبرى كونه تطهيرًا من كل النجاسات. ولا ذكر محدد للذبائح هنا (لكن را. لاويين ١٦) مع احتمالية أن يكون طقس تيس عزازيل كان منفصلًا عن يوم الكفارة قديمًا ثم توحّد معه لاحقًا (١٦: ٢٩-٣٤). إن عدم ذكر الذبائح يرجّح تغيرًا أو انتقالًا غير منظور في اللاويين من التركيز عليها إلى تأمل غاياتها. إن آلاف الذبائح التي يمكن إحصاؤها خلال سنة وتقديمها كل يوم غير مجدية إذا لم تترافق مع التوبة (مي ٦: ٧) والبر (عا ٥: ٢٤) والرحمة (هو ٢: ٢١ وما يليه) والتواضع (إش ٧: ٩؛ ٣٠: ١٥) أي مع الديانة الصالحة الطاهرة النقية (يع ١: ٢٧). «**من المساء إلى المساء**»، نظام اليوم عند العبرانيين.

٢٣: ٣٣-٤٤ «عيد المظال» (ح ج - ه س ك و ث) وهو آخر أعياد السنة، فترة حج كباقي الأعياد، «**سبعة أيام**» يُحتفل به بعد جمع الحصيد الخريفي (١٥-٢٢ تشري). كأنه راحة بعد الجمع، وله طابع ابتهاجي (قارن عد ٢٨: ٧-١١؛ تث ١٦: ١٣-١٥؛ حز ٣: ٤). تُصنع المظال من أغصان النخل والأشجار (قارن نح ٨). ولا شك بأن الشعانين كانت في عيد المظال، الذي ارتبط لاحقًا بذكرى تحرير بني إسرَإيل من مصر، لكن الناس ومن شدة حماستهم استبقوا العيد وأرادوا أحياءه في غير أوانه عند دخول يسوع إلى أورشليم قبل الفصح. لا ذكر للذبائح هنا لكن انظر عدد ٢٩: ١٢-٣٩، حيث تُقرَّب الذبائح يوميًا. «**اعتكاف**» (ع تص ر ث) أو يوم «جمعة» وعطلة في اليوم الأول والثامن، وتُقرَّب أيضًا الذبيحة، وتكون كختام للاحتفال. (ع. ٣٧-٣٨) خاتمة، و(ع. ٣٩-٤٣) على الأرجح أضيفت لاحقًا، لكنها مفيدة جدًا لنتأكد بأن المظال زمن سرور، «**تفرحون أمام الرب**»، ولارتباطه باختبار البرية وزمن العفاف (هو ٢: ١٩-٢٠).

٢٤: ١-٢٣ أحكام مختلفة في العبادة ويتناول هذا الفصل موضوع زيت المنارة والسُّرُج، وأيضًا الخبز الذي أمام الرب، وهي في إطار خدمة الكاهن ووظيفته ضمن المكان المقدس أمام الحجاب. كما يتناول الحادثة المميزة المتعلقة بالتجديف، وهي قصة وحيدة في اللاويين بالإضافة إلى قصة عقاب ابني هارون (لا ١٠).

٢٤: ١-٩ «لإيقاد السُّرُج»، إنها وظيفة الكاهن داخل المكان المقدس. «**دائمًا**»، على الأرجح، من الغسق إلى الفجر، وعلى مدار السنة؛ حسب السبعينية: «حتى الصباح». الزيت النقي يأتي به بنو إسرَإيل (خر ٢٧: ٢٠ وما يليه؛ ٢٥: ٣١) وهي كما في ١صم ٣: ٣ منارة واحدة، لكن لاحقًا صارت عشر منائر (١مل ٧: ٤٩). وقرب المنارة، مائدة خبز الوجوه (خر ٣٩: ٣٦) عليها اثنا عشر رغيفًا، تُغيَّرُ كل أسبوع (خر ٢٥: ٣٠؛ ٣٧: ١٠-١٦؛ عد ٤: ٤٧) ويُسمح لهارون وبنيه بأكلها، نصفها للكهنة الداخلين للهيكل، والنصف الآخر للخارجين منه. «**عُشْرَين**»، حوالي سبعة لترات من الطحين، الأرغفة أحجامها كبيرة. وتوضع على «**المائدة الطاهرة**» في صفّين. وقال التلمود بأن الطحين مغربل إحدى عشرة مرة. إن عادة وضع الخبز أمام الآلهة عادة قديمة ومنتشرة بين الشعوب الأخرى. عدد الأرغفة ١٢ للإشارة إلى أسباط إسرَإيل الاثني عشر. والأرغفة شبيهة بما أكله داود ورجاله (١صم ٢١: ١-٦؛ را. مت ١٢: ٣؛ مر ٢: ٢٥).

٢٤: ١٠-١٦: يتناول هذا المقطع قضية التجديف في قصة، والقصة تستبدل الوصية المباشرة برواية، تمامًا مثل ما جاء في الفصلين ٨ إلى ١٠؛ ثم يستطرد إلى بعض شرائع التعويض عن الأضرار أو ما يسمى قانون الرد بالمثل *lex talionis* كسر بكسر وعين بعين وسن بسن. أو ما سُمي في تاريخ الحضارات قانون حمورابي، وكان معروفًا عند شعوب المنطقة. صحيح أنه قانون بدائي بعض الشيء لكنه رادع لجماح القاتل ويحفظ المجتمعات (خر ٢١: ٢٣-٢٥؛ لا ٢٤: ١٩-٢٠؛ تث ١٩: ٢١). ولا يزال قانون العين بالعين قائمًا في الثقافة الإسلامية والعربية، فهي ثقافة ليست محصورة في الكتاب المقدس، وكذلك دستور حمورابي وشرائع روما. تسود ثقافة المعاملة بالمثل، بأساليب الشتم والتعذيب والقتل والثأر. لا يزال القصاص واجبًا شرعيًا، وبحسب صفة الجاني، إذا ما كان حرًا، عبدًا، كافرًا، ذميًا . . . إلخ. وهو قصاص في النفس (أي قتل النفس) أو ما دون النفس (أي في الأطراف والجروح) وطبعًا هذه لها أحكامها وشروطها المتشعبة التي لا مجال هنا لذكرها. لكن لا يجوز أن يأخذ الإنسان مكان الله في القصاص، وأقلها يجب ربطه بمبدأ العدالة الملازمة؛ كأن نقول مثلًا: «من يلعب بالنار يحترق بها»، «أعمالنا تتبعنا»، و«من حفر حفرة لأخيه وقع فيها»، و«بالكيل الذي به تكيلون يكال لكم». وأن يكون هناك محاكم تستند إلى خط معتدل في العقوبة المفروضة، خاصة وأن القصاص يُطبق على الضعيف لا على القوي. فإذا أخذ أحد سن القوي، فسيأخذ الأخير فكه كله؛ وإذا أخذ له عينه فسيأخذ القوي رأسه. لذلك جعلت مدن الملجأ حتى يتوقف الانتقام، ويلتزم الإنسان بالقضاء، فيتعالى الناس عن الشر بالشر. لقد غيّر المسيح هذا القانون (مت ٥: ٣٨) لأنه ليس القانون الأمثل للمجتمع، ولأن الهدف شفاء المخطئين وإعانتهم للخروج من القعر الذي وصلت إليه إنسانيتهم. همّ المسيح خلاصهم لا إدانتهم، والارتقاء بالعدالة لكي تفوق عدالة الكتبة والفريسيين. رأى المسيح أن القتل يبدأ في القلب قبل أن ينتقل إلى اليدين، يبدأ بالغضب والكراهية؛ أما العدل فيأخذ مجراه في إصلاح المجرم وخلاصه أيضًا، لا في خلاص المجني عليه فحسب. «**فجدَّف.. على الاسم وسبَّ**»، حرفيًا قلل من اعتبار الاسم واستخف به ولعنه. عقابه الموت بالرجم من قبل كل الجماعة، لأن القضية ليست مرتبطة بالتجديف فحسب بل بالخطية التي جلبت الموت. ملفت للنظر كون الذي جدف هو ابن رجل مصري وامرأة إسرَإيلية. تُطبّق الشريعة على بني

www.christianlib.com

إسرَإيل كما على الساكنين معهم. «**وضعوه في المحرس**»، إشارة غير مباشرة للقضاء، والقضاء ديني، والشريعة تنظم شؤون الناس العامة. «**يرجُمَه كل الجماعة**»، لأن الخطية التي ارتكبها تأتي باللعنة على الجماعة، وعادة ما يضعون يدهم على رأس المرجوم مثلما يضعونها على رأس البهيمة. المسؤولية لم تكن فردية. قدسية الحياة التي تتطلب التعويض، وهذا يجعل الجميع متساوين أمام القانون و«**حكم واحد**» على الغريب كما على الوطني. هذه القوانين وضعت مرحلة هامة للانتقال من شريعة الرد بالمثل إلى شريعة القضاء العام الذي يقتصّ من المذنب، فلا يبقى العقاب بيد عائلة المجني عليه. «**كسرٌ بكسر**»، أُسيء فهم هذا القانون، لأن هناك الكثير من الحالات التي لا تتوجب رد الصاع بالصاع بل بالحري التعويض عن الضرر الناجم عن الاعتداء. وهي لا تزال إلى اليوم، المتضرر يحصل إلى بعض التعويضات لخسارته، أو تعويض أفراد عائلته.

٢٥: ١–٥٥ سادسًا: سنة اليوبيل المقدسة

لم تكن شريعة الراحة في يوم السبت فحسب بل امتدت لتكون في السنة السابعة أيضًا، وفي السنة اليوبيلية (الخمسين) بعد سبع سنين سبع مرات. أغلب الظن أن السنة اليوبيلية لإراحة الأرض لم يحفظها بنو إسرَإيل قبل السبي (٢٦: ٣٥؛ قارن ٢أخ ٣٦: ٢١)، ربما فقط حفظوا وصية السنة السبتية (را. ١مك ٦: ٤٩، ٥٣). لكن كانت تُجمع عشور المحاصيل كل ثلاث سنين (تث ١٤: ٢٨–٢٩) مع الأخذ بعين الاعتبار السنة السبتية كي لا يقع معها.

٢٥: ١–٧: في السنة السبتية المقدسة «**تسبت الأرض**»، وهي السنة السابعة التي لا يُزرع فيها ولا يُحصد وتكون راحة للأرض. أي يُريح الإنسان الأرض ولا يزرعها ولا يقطف من ثمارها، ولا يحصد ما نما من نفسه. لا بل يحصد يومًا بيوم ما طلع في السنة السابعة. وتعود هذه العادة إلى البابليين والآشوريين وعادات قديمة كانت منتشرة قبل السبي (هو ١٠: ١٢؛ إر ٤: ٣؛ أم ١٣: ٢٣)، خاصة عند تنصيب ملك جديد، يقوم بإطلاق الأسرى والمساجين، لتبدأ «صفحة بيضاء» جديدة من حياة الشعب. لكن هذا لا يعني تطابق الممارسة بين الشعوب، بل لكل شعب خصائصه التي تميزه. كان هدف السنة السبتية، مع كونها طقسية وتذكّر بالخلق وراحة الرب في اليوم السابع، رعاية الفقراء وخلاصهم (خر ٢٣: ١١): تُلغى الديون وتُفك العبوديات.

٢٥: ٨–٥٥: «السنة الخمسين» (ح م ش ي م) أي سبع سنين سبع مرات تكون سنة «**يوبيل**» (ي و ب ل). وتعني: الكبش، أو قرن الكبش («ق ر ن/ ه ي و ب ل»، خر ١٩: ١٣؛ يش ٦: ٥، ٦)، أي «صوت الفرح» والهتاف والانتصار، ويُستخدم مصطلح الجمع «أبواق الهتاف». لكن ليس واضحًا إذا ما كانت سنة اليوبيل تأتي في ٤٩ سنة (٧×٧) أم في خمسين (قارن ع. ١٠ مع ع. ٢٢). على الأرجح، عُدّت السنة ٤٩ من بداية السنة العبرية لا من آخرها. يُحتفل باليوبيل في اليوم العاشر من الشهر السابع، في يوم الكفارة، ويُنفخ ببوق الهتاف. سنة اليوبيل هي سنة سبتية، بل بالحري تاج النظام السبتي، لكنها أيضًا سنة «**عتق**» (د ر و د) لجميع الأراضي والبيوت والمزارع والحيوانات، ولكل العبيد والجواري والغرباء بمن فيهم الأجانب. هي حرية عامة للكل. واعتقدَ الكثيرون من النقاد بأن سنة اليوبيل لم تمارس بالمطلق، بل بقيت كرجاء يتوقعه الإنسان بشيء من الطوباوية. لكنَّ شعوبًا كثيرة مارست أنظمة اجتماعية شبيهة بشريعة اليوبيل، مثل سومر وآشور وبابل ومصر. أعلن حمورابي مثلًا على الأقل أربع مرات بداية اقتصادية جديدة أو «صفحة بيضاء» (clean slates) وعفوًا عامًا في مدة حكمه على عرش بابل، كان أولها في بداية توليه العرش ١٧٩٢ ق.م. وكذلك «حجر الرشيد» ما هو إلاّ مرسوم ملكي صدر سنة ١٩٢ ق.م. من الملك بطليموس الخامس على مصر يُلغي فيه الديون المستحقة والضرائب الواجبة على مصر؛ وكذلك تحرير المساجين وخفّض الضرائب على المعابد واسترجاع الممتلكات ورصد أموال طائلة وكميات كبيرة من الطعام للناس لكي تعيش. لا شك أن قادة السنهدريم التفوا حول متطلبات اليوبيل، وألغوا مفاعيلها وأفرغوها من معانيها الروحية والزمنية، لكن المسيح أول ما بدأ بشارته قال بأن سنة اليوبيل قد حلّت، لأنه سيطلق الأسرى ويشفي المرضى والعمي بالبصر والمنسحقين يطلقهم إلى الحرية (لو ٤: ١٨–١٩). إذا كان الله قد أعطاهم الأرض وخيراتها فعليهم أن يحفظوها ضمن العائلة، وإذا لم يفلحوا في ذلك واضطروا لبيعها أو بيع أنفسهم أو عائلتهم، فليطبّقوا شريعة اليوبيل. «**ترجعون كلٌّ إلى مُلْكه**»، عودة الأرض لأصحابها الأصليين. إنها فريضة العدالة في الصفقات ومكافحة احتكار الأراضي لأن الأرض يجب أن تبقى ضمن عائلات الأسباط. إذا باع المزارع محصول أرضه قبل الحصاد في كل سنة بسبب حاجته للمال، فتُحسب قيمة الحصاد حتى سنة اليوبيل، ويستدين المبلغ. ولا يبدو أن سنة اليوبيل كانت معروفة قبل السبي، بل كان معروفًا عن «سنة الخلفة» (إش ٣٧: ٣٠؛ انظر ٢مل ١٩: ٢٩) تُعطي الأرضُ ما تعطيه من زرع السنة السابقة. «**صاحبك**»، الأخ المباشر أو من الأم أو من الأب أو من العشيرة نفسها. فلا «**يغبن**» أحد صاحبه، أو لا يظلمه. أما في حال اضطر المالك لبيع الأرض، فتفرض الشريعة على أحد الأقارب أن يفك البيع بدفع الثمن، وإذا لم يكن من قريب له، فمتى صار عنده ما يفك ملكه تُردُّ الأرض للمالك، وتُحسب قيمة الفك حتى سنة اليوبيل. كذلك القرى والمزارع هي أيضًا قابلة للفك والاسترداد. «**لتسكنوا على الأرض آمنين**»، تحضير لبركة السلام التي ترافق الطاعة (لا ٢٦).

٢٥: ٢٣–٣٤ «الأرض لا تباع البتة»، لا يمكن بيع الأرض من

www.christianlib.com

حيث المبدأ إلا لفترة قصيرة، والسبب لاهوتي، لأنه للرب الأرض وقد أودعها للإنسان. لا يملك الإنسان حق الامتلاك بل حق استعمال الأرض. والجميع ضيوف وغرباء عند الله، ويستطيع الله أن يطرد شعبه متى يشاء. وما يقال عن الأرض يقال عن الأفراد أيضًا. في حال تم البيع بسبب الفقر يكون هناك «**فكاك**» (ج ا ل) مدته سنة يستطيع فيها هو نفسه أو وليّ أمره أو أحد أقاربه أن يفك الأرض ويستردها. وإذا لم يكن هناك من ولي يفكها، تبقى إلى سنة اليوبيل. «**في مدينة ذات سور**»، القاعدة الشرعية تقول بأن مالك الأرض يستطيع أن يسترد أرضه أو بيته بعد سنة إذا كان واقعًا في داخل أسوار المدينة. يختلف قانون المدن المحصنة عن القرى حيث لا يسري حق استرداد الأرض بعد سنة، بل تبقى إلى سنة اليوبيل. وهذا القانون يعود إليه على الأرجح تثبيت تقسيم الأراضي بين الأسباط. أما اللاويين فبيوتهم وأملاكهم في المدن لا تخضع لشريعة المدن، يمكن فكها في أي وقت وقبل مرور عام كامل؛ كما يمكن استرداد العقارات في سنة اليوبيل. وكذلك مراعي وحقول اللاويين، لا تباع، هي ملك أبدي لهم. «**حقول المسارح**»، الأراضي المفتوحة للرعي أو المشاع التي ليست لملك أحد.

٢٥: ٣٥-٤٦ «أعضده» (ح ز ق)، أي تشدده وتنهضه على قدميه ليكون مستقلًا. «**الربا**»، أي أخذ الفائدة من رأس المال المدفوع. «**مرابحة**»، أي وضع الفائدة على رأس المال وقطع الربا منها أيضًا. وهذا ينطبق لا على الفضة فحسب بل على الطعام كذلك. والسبب لأن الرب أيضًا أخرجهم وحررهم من مصر. «مجانًا أخذتم مجانًا أعطوا» (مت ١٠: ٨). فلا يجوز للمشتري أن يستعبد أخاه من بني إسرَإيل استعباد عبد، بل يستخدمه كأجير أو نزيل (مدفوع الأجر)، ويخدم عنده إلى سنة اليوبيل. «**لا تتسلط عليه بعنف**»، أي يمكن أن يتملكوهم (فقط الذكور منهم)، لكن من غير المشروع معاملتهم بقسوة. وهي نفس العبارة التي استخدمها سفر الخروج ١ ليصف تسلط فرعون على بني إسرَإيل (را. حز ٣٤: ٤). أما العبيد الغرباء أو «**الشعوب**» من حولهم فيصيرون ملك الشاري، ويستطيع توريثهم لأبنائه أو ممن يشاء. تُعتبر شريعة اليوبيل (خمسون سنة) جديدة مقارنة مع خروج ٢١: ١-٦ شريعة إعتاق العبد بعد ست سنوات (سنة سبتية). وتبدو الشريعة العتيقة أرحم منها، لأن العبد إذا بيع في زمن بعيد عن اليوبيل، فاحتمال أن يموت قبل أن يتم إعتاقه. أو يكون قد تجاوز عمره عمر العمل، فلا يستطيع أن يكون حرًا. تبقى على الأرجح حرية العبد قائمة في حال أراد البقاء عند سيده، وهذا وارد لأنه، وبسبب فقره، سيفضل البقاء. ولا بد من الإشارة إلى أن بيع الأبناء أو الفتيات الصغار كان موجودًا في أماكن مختلفة من الشرق الأوسط، وإن خفَّ كثيرًا عما هو عليه قبل مئة عام وانحصر في المناطق النائية جدًا، وكان لهذا شرعه وأعرافه بين الذين يقبلون به.

٢٥: ٤٧-٥٥: وتعالج هذه الشرائع الفقراء من بني إسرَإيل الذين باعوا أنفسهم إلى أبناء جلدتهم أو إلى الغرباء الأغنياء. يكون الفقير حرًا من الوطني أو الغريب الأممي في سنة اليوبيل بشكل عام. الغريب تشمل أيضًا اليهودي الذي يعيش خارج أرض أجداده متغربًا عند عشائر يهودية أخرى. يصيب التحرير الجميع من دون استثناء ويطال جميع الناس. ويمكن أيضًا عتق اليهودي من الغريب في أي وقت شاء في حال وُجد من يفك نفسه ويفديها. لكنه لا يُفك إذا كان العبراني عبدًا لابن جلدته إلا في سنة اليوبيل. أما ثمن الفك فيُحدَّد بعدد السنين التي ستأتي فيها سنة اليوبيل. ومرة أخرى يوصي الكاتب بمعاملة العبيد أو الأجير معاملة حسنة، والسبب لأن بني إسرَإيل أنفسهم عبيد ليهوه؛ فإذا أحسنوا إلى الآخرين أحسن الله إليهم. لكن يبدو أن تطبيق شريعة اليوبيل كان طوباويًا أكثر منه واقعيًا (را. تث ٦: ٨؛ ٩: ٢٦؛ ١٥: ١٥؛ ٢٤: ١٨)، لكنها تظهر إرادة الرب في التجدد الدائم للإنسان والمجتمع. أي تطبق السنة اليوبيلية في روحانيتها لا في حرفيتها من أجل استعادة كرامة الإنسان. إنها مناسبة للتحرر والافتداء والخلق البدع.

العبودية

نشأ نظام العبودية بشكله حسب المفهوم السائد الآن (أي حق ملكية شخص لشخص آخر) مع قيام الصناعة، أما قبل ذلك ففي عصر الصيد كان المحاربون لا يستعبدون العدو الذي يقع في أسرهم وإنما كانوا يذبحون الرجال وتؤخذ النساء كزوجات أو خدم.

وفي عصر الرعي كان يتم أسر الرجال لكي يُباعوا فقط – عدا بعضهم كانوا يُستَخدَمون لرعي القطعان. إلى أن بدأت ممارسة الزراعة بشكل واسع وفي نفس الوقت تواصلت الحروب وهنا زادت الحاجة إلى العبيد بشكلها السائد حيث كانت ظاهرة اجتماعية كونية من الصعب تفاديها. فالعبيد قامت على أكتافهم الحضارات الكبرى بالعالم القديم.

في الحضارة اليونانية

اعتبر أرسطو أن العبودية مهمة وأمر طبيعي تصلح للسيد والعبد في ظل ظروف تتميز بالعدل. وفي ظل هذه الحضارة يظهر أن القراصنة كانوا يقومون باختطاف الأفراد ويبيعونهم في أقاليم أخرى، وكان من يشتريهم يساويهم في الدرجة مع سادتهم بالميلاد حيث كان السيد يرى نفسه معرَّضًا لنفس المصير.

وكان العبيد الذين يحتلُّون رتبةً أعلى بعد مدة طويلة من الخدمة محل ثقة أسيادهم ويُعهَد إليهم بأعمال مهمة ولهم أملاكهم الشخصية، خاصة وأن الطبقات كلها كانت تتشارك في نفس نظام الإدارة.

www.christianlib.com

الحضارة الرومانية

تميزت مؤسسة العبودية في روما بالتوسع والامتداد وكان للعبيد في روما حق الحصول على الحرية بعدة طرق بالاسترداد أو التحرير.

تزايد عدد العبيد في روما لدرجة أنه مثَّل خطورة وحدث أول تمرُّد حقيقي عام ١٣٣ق. م وتم قمعه وحدث تمرُّد ثانٍ ثم تمرُّد سبارتكوس الشهير. (https://www.marefa.org).

في الولايات المتحدة الأمريكية

نظام الرق: تحوَّلت العبودية في فترة انتقالية إلى نظام الرق أي العمال الزراعيين المرتبطين بالأرض وغير مسموح لهم بهجرها وهم ما يطلق عليه طبقة القنان ثم امتنع الرق في الولايات الأمريكية الشمالية منذ أوائل القرن التاسع عشر واتجهت تلك الولايات إلى الاقتصاد الصناعي، أما الولايات الجنوبية التي يقوم اقتصادها على الزراعة المكثَّفة – وخصوصًا زراعة القطن فكانت تعتمد على عدد كبير من العمالة المُستعبَدة ذات الأصول الإفريقية. (Encyclopedia Britannica).

تطور تجارة العبيد

بدأت الكشوف الجغرافية لسواحل أفريقيا منطلقةً من ساحل الأطلنطي وظهر نظام عبودية المستعمرات الذي كان انحرافًا سياسيًا وأخلاقيًا بشعًا وبدأ أسر العبيد والاستيلاء على خام الذهب لخدمة الأساطيل البحرية والتوسُّع في المستعمرات وتحت تأثير الإيمان المسيحي كتبت الملكة إيزابيلا خطابًا إلى الأسقف فونسيكا (Fonseca) المشرف على شئون الهند تطالب بإعادة بعض الهنود إلى بلادهم حيث كان كولومبوس يجلب عبيدًا من الهند، وفي نهاية عامي ١٦٨٠–١٧٠٠ بلغ عدد الأفارقة الذين صدَّرتهم الشركة الأفريقية ١٤٠٠٠–١٦٠٠٠٠عن طريق المغامرات الخاصة ليصل العدد إلى ٣٠٠٠٠٠ وكثيرًا ما كان يتم إشعال النار في قرى السود حتى يفرُّوا منها هاربين من النار ثم يتم الاستيلاء عليهم أثناء هروبهم.

مصادر اجتلاب العبيد

كانت إسبانيا والغال وإفريقيا والبلاد الأسيوية المصدر لاجتلاب العبيد. وعلى مدى أربعة قرون اقتنص الأوروبيون الشباب الإفريقي وشحنوهم إلى أوروبا وأمريكا مربوطين بالسلاسل والأغلال، وقُتل منهم أكثر كثيرًا ممن وصلوا أحياء، إما من سوء التهوية في السفن، أو من الطعام الرديء، أو من التعذيب، أو بالانتحار، فكان منهم من فضَّل إلقاء نفسه في المحيط بدلاً من مواصلة العذاب، ثم نزولهم الأرض الجديدة ومعاملتهم معاملة الحيوانات... وكان من حق السيد الأبيض أن يفعل بهم ما يشاء حتى الموت. كذلك كان هناك العبيد بالمولد وبيع الأطفال عند العَوَز، وبالخطف وأعمال القرصنة ولم يكن للعبد الحق في الحيازة أو الادخار أو مشاركة ما ينتجه إلا أنهم كان يحق لهم التمتع الجزئي بهذه الحقوق بعد خدمة طويلة للسيد (عايدة العرب موسى، ص٧٠، ٢٠٠٧).

العبودية عند العرب

قبل الإسلام: مورست العبودية بشكل واسع كما في كل العالم القديم والمتوسط.

العبودية في الإسلام: العبد الذي يولد في بيت يعتبر عضوًا في العائلة ولا يتم بيعه إلا لسوء سلوكه، وكان العبيد محل ثقة كإداريين في الأقاليم أو كقادة الجيش وكان السادة مسؤولين عن عبيدهم في حالة المرض أو العجز. (ويكيبديا).

الحروب العثمانية في أوروبا وغارات التتار: قامت بجلب أعداد كبيرة من «الأوروبيين المسيحيين كرقيق» إلى العالم الإسلامي.

الحركة ضد تجارة العبيد

قامت حركة واضحة في إنجلترا لوقف تجارة العبيد، وكان الكويكرز هم أول من أخذوا موقفًا عمليًا في عام ١٦٧١ بأن نبذوا من جماعتهم كل من يُتهم بهذه التجارة وناشدوا أعضاء جماعتهم لإعادة العبيد، وتلاهم كويكرز أمريكا. وبتأثير الروح المسيحية بدأت حركة مقاومة تجارة العبيد إلى أن انتهت بمرسوم قانون عام ١٨١١.

وكانت الدانمرك سبَّاقة بمرسوم ملكي ١٧٩٢ وتوالت الحركة فشملت فرنسا ولكن من منطلق التحمس لحقوق الإنسان التي واكبت الحركة الثورية. وصدر قانون تنظيم العبيد (Code Noir) في عهد لويس الخامس عشر وألغى بونابرت هذه التجارة أثناء حرب المائة يوم ١٨٢٥. (المرجع السابق، Encyclopedia Britannica).

ظلت شرور العودة إلى العبودية بأشكال أخرى وتأسست حركة مقاومة العبودية عام ١٨٢٣، وفي عام ١٨٥٨ ظهر قرار تحرير العبيد في خلال ٢٠ سنة من تاريخ إصدار قانون في المستعمرات الفرنسية ١٨٤٨. (المرجع السابق).

العبودية بعد الحرب العالمية الأولى

عُقدت معاهدة ١٩١٩ عند نهاية الحرب العالمية الأولى لتعهُّد الموقِّعين عليها بالسعي نحو إلغاء العبودية بكافة أشكالها ووقف تجارة العبيد برًّا وبحرًا.

معاهدة ١٩٢٦ بخصوص تحديد دقيق للعبودية في كل أشكالها

www.christianlib.com

وتم تعريفها بأنها حالة أو وضع يمارس فيه شخص على آخر بعضًا أو كل ما يملك من قوة كمالك.

معاهدة ١٩٣٠ ضد الإجبار على العمل: لمناهضة أي شكل من أشكال الإجبار إلا إذا كان إجبارًا حكوميًا ودفعت فيه الحكومة مقابلا مجزيًا ووفَّرت الحماية الكافية.

عصبة الأمم ١٩٣٢: بعد ست سنوات من معاهدة ١٩٢٦ لعمل تعديلات المطلوبة لمناهضة العبودية.

أعمال الأمم المتحدة ١٩٤٩ للنظر فيما أسفرت عنه خبرات معاهدة ١٩٢٦ فيما تم من ممارسات.

تواصلت الجهود الدولية لتعقُّب العبودية في أشكالها الجديدة أو المتنوعة. (المرجع السابق).

تأثير المسيحية

العبودية ونصوص الكتاب المقدس

في العهد القديم: كانت العبودية ممارسة معتادة في العالم القديم إلا أن التوراة أدانت بعضًا من أشكالها فنصت على عدم جواز جرح العبد أو قتله أو إجباره على العمل في السبت وتحرير العبيد بعد ٦ سنوات ومعاملة أنثى الرقيق، وهناك أمثلة عديدة في نصوص سفر الخروج وتثنية ولاويين.

العهد الجديد: لم تعارض المسيحية المؤسسة العبودية صراحةً ولذلك ظهرت أصوات أدانت ذلك الموقف. كما أن كلاًّ من معارضي نظام العبودية ومؤيديه استخدموا نصوص الإنجيل في إثبات رأيهم، كما أن بعض آباء الكنيسة لم يعارضوا ذلك النظام مثل القديس أوغسطينوس. (ويكيبيديا).

إلا أن ظهور المسيحية في العالم الروماني عمل على تحسين حالة العبيد، فالمسيحية كانت بؤرة تأسيس فكرة الحرية الكاملة التي انتهت إليها في فترات لاحقة. شجعت الكنيسة تحرير العبيد وفداء الأسرى مما أضعف قوة ذلك النظام. لكن لم يُتوقَّع أن التغيير الجذري يحدث فجأة في ظل النظام الاجتماعي الذي كان في حوار مع الأفكار العامة التي ظهرت تحت تأثير المسيحية، وبالتدريج حدث تغيير في سياسات القانون في شكل احترام طبقة العبيد الذي لم يكن له وجود على الإطلاق قبلاً، ووافق آباء الكنيسة في القرن الثاني مع الفكر الرواقي على أن العبودية أمر مرفوض من وجهة نظر الدين والأخلاق، وتوالت جهود الأباطرة في التخفيف من هذه القيود، وفي حالة حصول العبد على حريته فإنه يصير بعد ذلك مواطنًا كامل الأهلية، لكن لسيده حق ممارسة الرعاية طبقًا لنظام المُحسِن والتابع المُتَعارف عليه في المجتمع آنذاك. وفي خضم تلك المتغيرات نشير إلى أهمية توخِّي الحرص عندما نقرأ عن العبودية والعبيد في كل من العهد القديم والجديد حتى لا نحمِّل النصوص معاني لا يقصدها.

من هذا السرد التاريخي يتضح أن تجارة العبيد ازدهرت في ظل نظام اقتصاد المستعمرات الجديد، أما ترحيب المجتمع بإلغاء العبودية تحت تأثير المسيحية فكان عندما لم تكن هناك حاجة للعبيد، أو لم تكن توجد الضرورة لتكثيف وجودهم، وحالما ظهر عصر الكشوف الجغرافية وما تلاه من تطور في الأنشطة الاقتصادية إلا ودارت رؤوس الملوك قبل عامة الشعب في تكريس نظام العبيد وحشد الأعداد الغفيرة منهم لتسريع تراكم الثروات والممتلكات في أقرب وقت وبأقل جهد مهما كانت التضحية بحياة الملايين من أولئك العبيد، ومهما كنت المعاناة والثمن الفادح الذي يدفعه العبيد.

أما بخصوص نصوص العهد الجديد الخاصة بالعبودية فهي محاولة لإعطاء العلاقة مركزية ودافعًا جديدًا تمامًا بناء على سيادة المسيح على الجماعة (كو ٣: ١٧)، وهي مواجهة مباشرة لعلاقات الأسياد والعبيد وإن لم يكن تحديًا مباشرًا للنظم الاجتماعية ومنها العبودية، ففي القرن الأول في العالم الروماني لم يكن بالإمكان لجماعة المسيحيين القليلة العدد أن تحدث تغيرات جذرية كاسحة سائدة، ولم تكن للكنيسة مكانة تنطلق منها لتحاول أن تعيد هيكلة المجتمع بالكامل. فأية محاولة لعمل ذلك قد يعرِّض الكنيسة للخطر سواء من ناحية رسالتها التبشيرية أو وجودها بالكامل وسط العالم الروماني، كان على المسيحيين بالأحرى أن يحقِّقوا دعوتهم من خلال النظم السائدة في المجتمع الإغريقي– الروماني وهم ينشرون الاختلاف الداخلي بشكل ظاهر للعيان. إن الاستراتيجية للتغيير الاجتماعي والثقافي هي وضع خميرة الإنجيل في قلب المجتمع المسيحي ليدعها تعمل عملها بمرور الوقت مما يقوِّض وجود النظام نفسه. فيما بين الجماعة الأوسع (دين فليمنج، الفصل الرابع، ٢٠١٠).

على أن العبودية في الكتاب المقدس ظهرت أيضا في أحداثه عندما استعبد شعب لشعب: أولا العبرانيون للمصريين والمسبيِّون في بلاد السبي كما استَعبَد الأخ لأخيه نتيجة العَوَز والحاجة، كما أُستُعبدت الأقلية من المسيحيين للأكثرية غير المسيحية عندما تشتَّتت الكنيسة واضطُهدت، بل إن العبودية تحوَّلت إلى عبودية فكرية في مشكلة فرض التهوُّد على الأمميين مما اضطرهم لاتباع ممارسات تهوُّدية لإرضاء اليهود المسيحيين.

أما عن العصر الحالي، فنرى تأثير سياسات الاقتصاد الحر وسطوة قوى الإنتاج التي لم تؤد دائمًا إلى ترقية وتطور العلاقات الاجتماعية بل على العكس أدت إلى تشوُّهات وإفقار واغتراب، ففي ظل تقسيم العالم الرأسمالي وانقسام المجتمع نفسه . . . تشوَّه العمل الإنساني فاقدًا الروح ومُتسمًا بإفقار الإنسان مرتين إذ يتجرد من شخصيته الخلاقة الفاعلة ويستمد هو نفسه قيمته من الأشياء، بل

www.christianlib.com

إن علاقاته مع الآخرين تصبح علاقات مع أشياء، وتصبح منجزات التقدم البشري معادية للإنسان عائقًا لانطلاقه. وهو المجتمع الذي تطلق عليه فريدة النقاش عالم الرجوع للماضي والتديُّن الظاهري وعالم الرأسمالية الطفيلية. (النقاش، ٣٣٦، ٢٠٠٦).

أما عن تجارة العبيد في عالم اليوم فهناك خطر لا يُقارن بالشكل التقليدي لتجارة العبيد وهو الاتجار بالأعضاء، سواء بإرادة المحتاجين للقوت الضروري للحياة أو بطريق السرقة من المستشفيات أو استغلال أجساد الضحايا الحروب والغارات الحربية.

المراجع

فليمنج، دين. **الكرازة المعاصرة الناجحة**. القاهرة: دار الثقافة، ٢٠١٠.

النقاش، فريدة. **أطلال الحداثة**. القاهرة: مكتبة الأسرة، ٢٠٠٧.

موسى، عايدة العزب. **تجارة الرقيق وأثرها على العقل الأفريقي**. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٧.

الدكتورة ڤنيس نقولا بولس

٢٦: ١-٤٦ سابعًا: البركات واللعنات

تُختم شريعة القداسة بالبركات لمن يحفظ الوصايا ويعمل بها، وبالعقوبات لمن لا يطيعها ويكسر العهد مع إلهه. وهي خاتمة كلاسيكية تسير على غرار التثنية ٢٨ وتذكّر الناس بعهد سيناء. فإمّا البركات والخيرات والسلام (الخالي من الحروب) والعيش الطيب ورؤية الأجيال والسكن الآمن متوجًا بسكنى الله في وسط شعبه، وإمّا اللعنات والشقاء والسيف والرعب والأمراض والقحط حتى الانقراض إذا لم يحفظوا الفرائض. إنها مسؤولية الجماعة في خياراتها. ويتحقق هدف الكاتب في إبراز طقوس العبادة الحقة والسلوك المستقيم. (ع. ١-٢) مقدمة تُحرِّم الأوثان التماثيل والأنصاب، وتطلب حفظ السبت ومهابة مقدس الله. «**نصبًا**» (م تص ف ا) كان الحجر المنصوب تقليدًا مقبولًا في البدء، ويشير إلى رؤية أو ظهور ليهوه مثل حلم يعقوب في بيت إيل (تك ٢٨: ١٨) أو إلى حدث ما، كما مع يشوع (٤: ٩، ٢٠؛ ٢٤: ٢٦؛ را. ١صم ٧: ١٢؛ ١مل ١٨: ٣١). حتى موسى نفسه نصب اثني عشر عمودًا لأسباط إسرَإيل (خر ٢٤: ٤). وهي أعمدة مقدسة تعامل مثل المذابح (هو ١٠: ١). لكن النهي عنها جاء أولا في تثنية ١٦: ٢٢، ثم نراه في ١مل ١٤: ٢٣ وهنا في شريعة القداسة من التراث الكهنوتي، وأماكن أخرى، وهي بالطبع متأخرة.

٢٦: ٣-١٣: مكافأة الطاعة بالبركات لمن يسلك بحسب وصايا شريعة القداسة (قارن تث ٢٨: ١-١١): يأتي المطر في حينه وكذلك المطر المبكر (تشرين الأول- أكتوبر، والثاني- نوفمبر) والمتأخر (آذار- مارس، ونيسان- أبريل). «**يلحق دِرَاسُكم بالقطاف**»، أي تستمر دراسة الحنطة حتى موعد قطاف العنب، من يوم الخمسين حتى المظال. ويستمر قطاف العنب حتى موسم الزراعة في نوفمبر. ولا يكون وحش ضارٍ في الأرض، ولا حرب عليهم، بل يكونون، ولو كانوا أمة صغيرة، أقوياء أحرارًا، مرفوعي الرأس. «**أسير بينكم**»، وكأنها صورة الفردوس لآدم وحواء، هكذا هو العهد في التراث الكهنوتي: بركة وغنى وقوة وحضور ليهوه.

٢٦: ١٤-٢٠: أما سلسلة العقوبات الأولى لمن خالف شرائع القداسة ونكث الميثاق فهي كثيرة ومخيفة: الرعب والسل والحمى والعقم في الأرض. وإن أمعن بنو إسرَإيل في عصيانهم يزيد الرب العقاب سبع مرات. «**أحطِّم فخار عزِّكم**»، (ج ا و ن) وهي عادة تشير إلى المدينة (إش ١٤: ١١؛ مز ٤٧: ٥) أو الأرض (عا ٨: ٧) أو الزوجة والأولاد (أي ٣٨: ١١؛ عا ٦: ٨؛ نح ٢: ٣).

٢٦: ٢١-٢٦: والعقوبات التالية الأشد من الأولى في حال استمروا في سلوكهم بخلاف شريعة القداسة: تفترس الوحوش أولادهم وبهائمهم، فيقلّ عددهم وتقفر طرقاتهم. وهذا ما حدث عندما اجتاح الآشوريون مملكة الشمال سنة ٧٢٢ ق. م. (٢مل ١٧: ٢٥). تأتي عليهم الحروب وتصيبهم الأوبئة وتُدمَّر مدنهم، وتكون مجاعة: «**كسري عنكم سند الخبز**»، أي ينقطع إمداد الدقيق عنهم (مز ١٠٥: ١٦؛ حز ٤: ١٦)، فتخبز عشر نساء في تنّور واحد لقلة الدقيق، ويوزَّع الطحين بالمكيال لشحِّه.

٢٦: ٢٧-٣٩: أما الدرجة الثالثة من العقوبات في حال واصلوا معصيتهم لشريعة القداسة: سيُدفعون لأكل فلذة أكبادهم جوعًا (حز ٥: ١٠؛ ٦: ١-٧؛ مرا ٢: ٢٠؛ ٤: ١٠)، وتُحطم مقادسهم في المرتفعات وأنصاب شموسهم (اليسوعية: «مذابح بخوركم») وتُلقى جثثهم فوق بقايا أصنامهم، فيلقون نفس المصير. «**أذريكم بين الأمم**»، وهي الضياع الكامل، بعد أن أكلوا أولادهم، فلا يبقى لهم أثر. «**تستوفي الأرض سبوتها**»، وكأن ما يأتي عليهم من سبي وقصاص كان سببه عدم حفظ سبت الأرض (٢أخ ٣٦: ٢١). إذا لم يحرروا الآخرين فلا حرية لهم. وهي إشارة إلى السنين المديدة (أكثر من سبع سنين) على تشتتهم. أما الباقون في السبي فيطاردهم الخوف في كل مكان ومن أبسط الأشياء، هناك يتعفنون ويهلكون (حز ٤: ١٧).

٢٦: ٤٠-٤٦: على الرغم من قساوة العقوبات السابقة التي تصل إلى حد الإفناء، لا تزال الفرصة مفتوحة للحياة. إذا أقروا بخيانتهم وأقروا بذنوبهم، فالخلاص لا يزال ممكنًا؛ والشرط هو التوبة والعودة عن طرقهم الرديئة. عند ذاك، يتذكر الله عهده مع الآباء في الأيام القديمة. «**قلوبهم الغلف**»، تطور لاهوتي كبير في

www.christianlib.com

النص لأنه تعبير متأخر (حز ١٦: ٢٤، ٦٠؛ ٢٠: ٩، ١٣، ٢٣؛ لاحظ تعبير «وحشتها منهم»، أي سبيهم وابتعادهم عن الأرض). لم تعد الغرلة، وهي علامة الميثاق، في الجسد، بل في قلب الإنسان وبحثه عن الله وطاعته (رو ٢: ٢٥-٢٩). وملفت للانتباه أنه يذكر ميثاقه يهوه مع يعقوب وإسحاق وإبراهيم، وهي عهود قبل الشريعة، لذلك لم يُغلق الله الخلاص على الرغم من خيانة الإنسان للعهد. ولاهوت النعمة يؤسس على هذه العهود ويترك ميثاق الشريعة لأنها دخلت مؤقتًا بسبب قسوة الإنسان (رو ٣: ٢٧-٣١؛ ٤؛ ٥: ٢٠؛ غل ٣: ١٦، ١٩). «**الميثاق**» (ب ر ي ث)، وهي بالمعنى الحرفي «الأكل معًا»، كما في الأعراف الشرقية، من أكل مع الآخر صار بينه وبين الآخر «خبز وملح»، يجمع بينهما عهد (تك ٣١: ٥٤؛ را. ١صم ١٨: ٣؛ ٢٣: ١٨). من أخرجهم من مصر يبقى إلههم، وما فعله مرة يمكن أن يفعله ثانية. ويُختتم السفر في ع. ٤٦ بالعهد بين الله وبين بني إسرَائيل في جبل سيناء، لكنه يعود ويضع ملحقًا ببعض الشرائع في ف. ٢٧.

٢٧: ١-٣٤ ثامنًا: ملحق لشرائع أخرى: فك النذور والعشور

ملحق يسرد قواعد فكّ النذور. إن النذور تتطلب ذبائح وتقدمات وتفرض التزامًا شديدًا على النذير (عد ٦: ٢-٢١؛ تث ٢٣: ٢٢-٢٤). وأحيانًا لا يستطيع النذير تحقيق متطلبات النذر، خاصة إذا كانت النذور بشرية مثل نذر يفتاح (قض ١١: ٣٤-٤٠؛ را. ١صم ١: ١١). هذا الملحق يخفف من ثقل النذور بدفع الفدية وفكها بما يعادل النذر من قيمة نقدية. ويُطبَّقُ فك النذور على البهائم والبيوت والحقول أيضًا بعد تقيمها من قبل الكاهن، ما عدا المحرَّم للرب لا يمكن فكه (ع. ٢٨).

٢٧: ١-٨ فك الأفراد إن فك النذر لأي ذكر ما بين ٢٠ سنة و٦٠ هو ٥٠ شاقلاً مقدسيًا من الفضة (نحو ست مئة جرام)، والأنثى أقل، تُفك بثلاثين شاقلاً (نحو ثلاث مئة وستين جرامًا). أما إذا كان المنذور ذكرًا من ابن خمس سنوات إلى عشرين، فيفتدى بعشرين شاقلاً (نحو ٢٤٠ جرام) والأنثى بعشرة (نحو ١٢٠ جرام). وكذلك لما دون الخامسة: للذكر خمسة شواقل، وللأنثى ثلاثة شواقل. وما فوق الستين سنة: للرجل خمسة عشر شاقلاً، وللمرأة عشرة شواقل. وإذا كان فقيرًا، يقف النذير أمام الكاهن فيقومه وفقًا لقدرته المادية. يبدو أن قيمة التقويم كان يرجع لأسباب مرتبطة بقوة العمل لا بالجنس؛ لذلك كان فك الرجال أعلى ثمنًا من النساء، والراشدون أعلى من الفتيان، والشيوخ أقل بسبب ضعف العمل عندهم.

٢٧: ٩-١٣ فك البهائم والبيوت أما المواشي التي تنذر للرب فتقدم للذبح، ولا تُفتدى، ولا تُبدل. لا بل تصير البديلة مع القديمة قدسًا للرب. أما في حال كانت غير صحيحة وفيها عيوب، فهي غير صالحة للتقديم، فيقوِّم الكاهن ثمنها ويدفع الناذر قيمة فكها مضيفًا إليه ٢٠٪ من ثمن المثمن كالعادة، أو يقوم الكاهن ببيعها. وكذلك فك البيوت، يتم بناء على تقدير الكاهن لثمنه مضافًا إليها خمس القيمة.

٢٧: ١٦-٢٥ فك الحقول/الأرض «حُومَر» من الشعير (٢٤٠ لترًا، ودائمًا المقايس تقريبية) يُفَكُّ بخمسين شاقلاً (ست مئة غرام) من الفضة. إنّ فك الأرض ممكن لكن ثمنها مرتبط بسنة اليوبيل. تُحسب عدد السنين المتبقية لسنة اليوبيل مضروبة بثمن محصول السنة الواحد. وبالتالي يمكن فك الأرض الموروثة بعد تثمين حصادها مضافًا إليها كالعادة ٢٠٪ من قيمتها. في حال أن مالك الأرض لم يفك أرضه خلال سنة، وقام صاحب الرهن ببيعها، فلا يمكن استردادها بعد ذلك، بل تصير من حق الكهنة وملكيتهم. وبحسب تث ١٨: ١-٢١ لم يكن يُسمح للاويين والكهنة بامتلاك الأراضي كأفراد، لكن يبدو أنه، وفي وقت لاحق، صارت بعض الأراضي ملكًا للهيكل والكهنة معًا. الأرض ملك صاحبها، ولو باعها لآخر، تعود إليه في النهاية في سنة اليوبيل. وإن كانت منذورة، تعود أيضًا لصاحبها بعد دفع قيمتها للهيكل. أما إذا كرّس إنسان حقله في سنة اليوبيل، فيدفع ما تم تقويمه. وإن كرّسه بعد سنة اليوبيل فعلى الكاهن أن يقدر قيمة الفك وفقًا لعدد السنين الباقية لحلول سنة اليوبيل. ويمكن لمُكرِّس الحقل أن يسترده، في هذه الحالة، يضاف على تقويم الكاهن ٢٠٪ من ثمنه، ويسترده. لكن إذا لم يُفك الحقل، وباعه لإنسان آخر فإنه لا يسترده أبدًا، ويصبح الحقل في سنة اليوبيل قدسًا للرب، ويكون مُلكًا للكاهن.

٢٧: ٢٦-٢٩: إن بكر الماشية ملك للرب بشكل آلي (خر ١٣: ١١-١٥؛ ٣٤: ١٩-٢٠؛ عد ١٨: ١٥-١٨) وبالتالي فكها غير ممكن. أما البهائم النجسة فيمكن لصاحبها أن يفديها حسب تثمين الكاهن لها، يضاف إليه خمس المثمن. وإذا لم يفده يباع حسب تقدير الكاهن، ويذهب ثمنه إلى الهيكل، وبحسب خر ٣٤: ٢٠ تُكسر رقبة البهيمة. «**مُحرَّم**» (ح ر م)، أي ما هو منذور بصورة مطلقة كالأدوات المخصصة للهيكل واستخدام الكهنة (عد ١٨: ١٤؛ حز ٤٤: ٢٩) هي «قدس أقداس» للرب، لا تباع وبالتالي لا تفك. أما الإنسان المحرَّم من قبل الرب فلا يُفتدى بل يُقتل حتمًا (ع. ٢٩)، وهذا محير بعض الشيء لأن الإنسان يُفتدى عادة، لكن هذا أمر كان يحدث في الحروب المقدسة حيث يُقتل الأسرى (يش ٦: ١٧ وما يليه؛ ١٠: ٢٤-٢٧؛ ١صم ١٥).

٢٧: ٣٠-٣٤: نظام العشور المساعد لدخل الهيكل والكهنة (عد ١٨: ٢١، ٢٤) وللفقراء (تث ٢٦: ١٢). العشور هي منتجات الأرض والأشجار، عُشرُها يكون قدسًا للرب ونصيبه. وهي ليست طوعية. لكن يمكن فك العشور بزيادة الخمس على قيمتها. كانت العشور تؤخذ من كل العبرانيين وتُعطى للاويين، واللاويون

www.christianlib.com

بدورهم يعطون عُشر العشور إلى الكهنة. وكانوا في السنة الثالثة من كل ثلاث سنين يُعشّرون بيوتهم، فيستضيفون عندهم من لا طاقة له للذهاب للحج من الفقراء والمرضى والعجزة (را. تث ١٤: ٢٨، ٢٩). ويُعتبر التعشير باطلًا إذا كان رديئًا. كل العشور، مادية أم عينية، يجب أن تكون صالحة وجيدة، وأهم شيء أن تكون نابعة من المحبة والرحمة (مت ٢٣: ٢٣). وليست القضية عُشرًا أو عشرين أو ثلاثين، بل أن يعطي الإنسان كل ما له لله. وليس للإنسان فضل في حسناته، لأن الله مصدرها، فلا يطلب شيئًا لنفسه بالعطاء. كل شيء في الحياة هو نعمة، يتقبّلها الإنسان وينميها ويرفعها ذبيحة شكر له. يعطي الإنسان مما استلمه من ربه، ولا شك بأن العطاء سيغيره. المهم أن يعطي الإنسان بمحبة، «لا عن اضطرار بل بالاختيار» (١بط ٥: ٢)، فالقلب البشري إذا انطوى على نفسه يذبل، أما من له نفس كريمة «فيعطى ويزاد» (مت ٢٥: ٢٩). على قلب المسيحي أن يحمل قوة العطف نحو الآخر. «**ما يعبر تحت العصا**»، تعشير الماشية ليس واردًا في الشريعة، بل كانت العادة على ما يبدو بأن يمر عُشر الماشية تحت عصا الراعي بشكل عشوائي فيكون قدسًا للرب. لا تُفحص الماشية قبل مرورها، أجيّدة هي أم رديئة، ولا تُبدل بماشية أخرى. الجيد يُقدَّم للمذبح، والرديء يتصرف به الكاهن في بيعه. وإن أُبدلت الرديئة، تكون هي وما أُبدلت به قدسًا للرب، لا تُفك؛ ولم يذكر الكاتب ما يُفعل بها، لكن ٢أخ ٣١: ٦ يشير إلى أنها جزء من دخل الكاهن. أما لماذا لم يذكر العهد القديم تعشير البهائم، فربما لأن البكر يذهب للرب في كل حال، وهو أكثر من العشر بشكل عام من مجمل ما تلده البهائم في السنة. ويُختتم سفر اللاويين للمرة الثانية (انظر ٢٦: ٤٦) في ع. ٣٤ كإضافة تربط شريعة القداسة والذبائح بجبل سيناء وموسى.

خاتمة

يظن قارئ سفر اللاويين أن السفر خاص بالطقوس وممارسات الذبائح والأعياد القديمة، وهو كذلك، لكنه ينسى بأن قلب التوراة وخلاصة الناموس مكتوبان فيه وهو أن يحب الرب من كل نفسه ومن كل قدرته وقريبه مثل نفسه وأن يحب الغريب كذلك (لا ١٩). إنها الخلاصة ذاتها التي أشار إليها يسوع عندما سأله الناموسي عن ماذا يفعل كي يرث الحياة الأبدية (لو ١٠: ٢٥). الأساس هو المحبة وما زاد عليها هو تفصيل. المحبة مفتاح الحقيقة، وهذه إذا اكتملت تكتمل الذبائح وتتحقق غاياتها ويبقى الفصح الدائم فينا. لذلك كان الخوف والرعدة التي قد تنتاب الإنسان الدنس والنجس أمام القدوس في كل الأديان لها معنى خاص في الإيمان المسيحي وفي العهد الجديد. ولو سأل السفر أن نتمم القداسة «بخوف ورعدة» وأن نسير زمان الغربة «بخوف» (في ٢: ١٢؛ ١بط ١: ١٧) فهو الخوف من أن يتركنا المسيح أو يهملنا فنبقى بدون من نحب. لذلك حل مكان الخوف الشكر والحمد والتسبيح للقداسة التي أنعم الله بها على المؤمنين وأدخلهم فيها وهم لا يستحقون (كو ١: ١٢؛ را. ٢كو ٧: ١).

بعدما زالت الملكية في السبي تعاظمت سلطة الكهنة وتشعّب تنظيمهم وأضافوا ما يلائم حاجاتهم وطقوسهم من الذبائح. لكن هذا الاتساع في الوظيفة والسلطة والمهام أوجب التمسك بالقداسة بوجه خاص والتمييز بين الطاهر والنجس والتكفير في اليوم العظيم يوم الكفارة. بما أن الله حي وقدوس فعلى الشعب والكهنة معًا أن يكونوا قديسين. فالذبيحة والكفارة والقداسة من المواضيع المحورية في سفر اللاويين. مع أن الذبيحة كعمل طقسي زال في المسيح لكن معانيها في نقل الإنسان إلى عالم المقدسات والاقتراب من الحضرة الإلهية لا يزال فاعلًا. لم يكن نشاط المسيح مندرجًا في العمل الكهنوتي بالمفهوم الطقسي لكن ذبيحته على الصليب وخدمته المضحية التي قدمها كانت فصحنا وكفارتنا، فحقق القداسة بدمه الذي سكبه لأجل جميع الناس. ونحن باتحادنا بذبيحة المسيح نعبر دائمًا من الحياة القديمة إلى الحياة الجديدة التي تتجدد لمعرفة الله وعيش المصالحة والغفران مع الآخرين (كو ٣: ١٠؛ عب ١٢: ١٤).

إن سفر اللاويين يجعلنا حساسين للقداسة، ومهما اختلفت صورها فإن مصدرها واحد وهو المسيح. إن المسيحية لا تعتزّ بالعقل البشري والحكمة، مع كونها لا تنكرهما، بل تفتخر بالقداسة، لأن القداسة من الله، أما الحكمة ففيها الكثير من الإنسان والبشر. أما القداسة فلا تأتي من مسعى أو مجهود أو حكمة بل هي من الله ومن عمل الروح القدس (١كو ٦: ١١؛ ٢تس ٢: ١٣) لذلك كانت القداسة أكثر من مجرد تعقّل أو فضيلة أخلاقية أو سلوك مستقيم أو طهارة في الأعمال. هي حضوره المقدس الذي لا يمكن أن نحيا بدونه. القديسون لهم مكانتهم ليس لعظمة أفكارهم التي نستنير بها أو لسبب معجزاتهم بل لسبب قداستهم التي وحدها تحركنا (أف ٤: ١٢). الله لم يعد يقبل، وهو لا يريد الذبائح الطقسية المادية الخارجية بل الذبائح الروحية التي توحد حياة الإنسان وتفتحها على محبة القريب. كل النظام الطقسي قشّ إذا لم تكن القداسة عاموده ولم تقدنا إلى الله. الله قدوس وهو لا يُعرف بزينة كلامية بل بقداسته، والمسيح نفسه لم يكتب شيئًا، لكن حياته اقترنت بالقداسة (مر ١: ٢٤؛ أع ٤: ٣٠). على الإنسان أن يسعى نحو القداسة التي في المسيح وإلا فهو ليس بشيء، «من هو مقدَّس فليتقدَّس بعد» (رؤ ٢٢: ١١). ويسوع المسيح صلى لأجلنا للآب السماوي فقال: «قدِّسهم في حقك، كلامك هو حق» (يو ١٧: ١٧).

وأخيرًا تبقى القداسة رجاء ننتظره كي يلبسنا الله إياها، هذا إذا مارسنا السهر والصحو واستقامة الفكر. فلا يظن أحد أن القداسة استثنائية أو أنها مطلوبة من الرهبان أو من النخب الخاصة

www.christianlib.com

أو طغمة ذات مناصب في الكنيسة، بل هي مطلوبة من كل مسيحي. وهي لا تأتي من كثرة الصلوات وممارسة الشعائر والأصوام بل في الاستقامة والتواضع والمحبة. الفضائل ليست حكرًا على خدام الكنيسة بل هي نوعية حياة متاحة للجميع، للكبار والصغار والشباب، وليس لها عمر معين. فهناك الملك والكاهن والرئيس والعلماني والرجل والمرأة وبائع الخضار والحمّال... للكل دون استثناء. لأن الروح القدس يُنشئ القداسة. وكل ممارسة وطقس نقوم بهما بلا روح وبلا فهم وبلا قناعة وبلا مضمون تبقى في إطار الفلكلور. «لأن هذه هي إرادة الله: قداستكم» (١تس ٤: ٣)، كونوا قديسين لأني أنا قدوس» (١بط ١: ١٦). نحن نعلم بأن الإنسان يبقى خاطئًا مهما تقدس، فالهدف ليس التنزه عن كل ضعف، بل ألا يستسلم الإنسان لموت الخطايا، وأن يؤمن بأنه/بأنها قادر على القيامة بربنا يسوع المسيح. قيامة النفس من الخطيئة أصبحت ممكنة بالمسيح. هناك سقوط وهناك قيام، أو كما قال مارتن لوثر: «أنا مبرَّر وخاطئ في الوقت نفسه». نعم نحن لسنا ملائكة لا تخطيء، لكن المغزى ألاّ نتصالح مع خطايانا أو نعشق ميولنا وغرائزنا ورغباتنا الشريرة ونستلذ بها، بل أن نكرهها ونحب معايشة الرب حتى نتحرر تمامًا كما هو، أي المسيح، حر من كل خطية ومن كل موت لأن محبتنا للرب هي الأول والآخر.

المراجع

الفغالي، بولس وأنطوان عوكر. **العهد القديم العبري، ترجمة بين السطور (البيسطريّة): عبري-عربي**. بيروت: المكتبة البولسية، ٢٠٠٧.

دوفور، كزافييه ليون. **معجم اللاهوت الكتابي**. بيروت: دار المشرق، ١٩٩٩.

دافدسن، فرانسيس. **تفسير الكتاب المقدّس**. بيروت: منشورات النفير، ١٩٦٦.

ماك آرثر، جون. تحرير. **تفسير الكتاب المقدس**. دار منهل الحياة، لبنان، ٢٠١٢.

مارش، وليم. كتاب السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: **تفسير أسفار اللاويين والعدد والتثنية. بيروت: مجمع الكنائس للشرق الأدنى، ١٩٧٢.**

السرياني، أفرام. **تفسير لسفر الأحبار. منسوب الي القديس أفرام السرياني في المخطوط الماروني هونت ١١٢ في مكتبة أوكسفرد.** تقديم يوحنا ثابت. الكسليك: منشورات جامعة الروح القدس، ١٩٨٤.

الفغالي، بولس. **من العبودية إلى العبادة: تفسير سفرَي الخروج واللاويين.** المجموعة الكتابية ٣، بيروت: المكتبة البولسية، ١٩٩٠.

Barton, John, and John Muddiman. *The Oxford Bible Commentary*. Oxford: Oxford University Press, 2012, 2012.

Brown, Raymond, et al., Eds. New Jerome Biblical Commentary. Inglewood Cliffs, NJ: Prentice Hall, 1996.

Brueggemann, W. "The Kerygma of the Priestly Writers." ZAW 84, pp. 397-413, 1972.

Buttrick, George A. Ed. The Interpreter's Dictionary of the Bible. Nashville: Abingdon, 1962.

--------. *The Interpreter's Dictionary of the Bible: Supplementary.* Nashville: Abingdon, 1976.

Child, B. S. *Old Testament Theology in a Canonical Context*. Philadelphia: Fortress, 1989.

Childs, Brevard S. *Introduction to the Old Testament as Scripture.* London: SCM, 1979.

Coogan, Michael D. *A Brief Introduction to the Old Testament: The Hebrew Bible in its Context*. New York: Oxford University Press, 2009.

Eichrodt, W. *Theology of the Old Testament.* Tr. J. Baker. 2 vols. Philadelphia: Westminster, 1961.

Elliger, K., and W. Rudolph. *Biblia Hebraica Stuttgartensia*. Stuttgart: Gesamtherstellun Biblia-Druck, 1997.

Freedman, D. N., and Matthews, K. A. The Paleo-Hebrew Leviticus Scroll (11 Qpaleolev). Philadelphia, Amer School of Oriental, 1985.

Gesenius, Wilhelm, Samuel Prideaux Tregelles, and James Strong. *Gesenius' Hebrew and Chaldee Lexicon to the Old Testament Scriptures: Numerically Coded to Strong's Exhaustive Concordance.* Grand Rapids: Baker Book House, 1979.

Hartley, John. *Leviticus*. World Biblical Commentary. vol. 4. General Eds. Bruce M. Metzger; David A Hubbard; Glenn W. Barker. Word Books: Texas, 1992.

Herion, Gary A., Astrid B. Beck, and David Noel Freedman. *The Anchor Bible Dictionary*. New York: Doubleday, 1992.

Kraus, H. J. *The Worship in Israel: A Cultic History of the Old Testament*. Tr. J. Buswell. Richmond, VA: John Knox, 1965.

Levine, B. A. *Leviticus* in JPS Torah Commentary.

www.christianlib.com

Routledge, 2004.

Rad, G. von, *Old Testament Theology*. Tr. D. M. G. Stalker. Edinburgh. London: Oliver & Boyd, 1962-65.

Vaux, R. ed. *Studies in Old Testament Sacrifice*. Cardiff: University of Wales Press 1964.

Vink, J. G. "The Date and Origin of the Priestly Code in the OT" OTS 15, pp. 1-144, 1969.

Wellhausen, J. *Prolegomena to the History of Israel*. Gloucester, MA: Peter Smith, 1973.

Wenham, Gordon. *The Book of Leviticus*. Grand Rapids: Michigan, 1979.

Willis, Timothy. *Abingdon Old Testament Commentaries: Leviticus*. Abingdon Press: Nashville, 2009.

القس نبيل كريم معمار باشي

Jewish Publication Society, 1989.

Milgorn, Jacob. Leviticus *1-16*. The Anchor Yale Bible Commentaries, vol. 3. Doubleday: New York, 1991.

--------. Leviticus *17-22*. The Anchor Yale Bible Commentaries, vol. 4. Doubleday: New York, 2000.

--------. Leviticus 23-27. The Anchor Yale Bible Commentaries, vol. 5. Doubleday: New York, 2001.

Muphy, James. *A Critical and Exegetical Commentary on the Books of Leviticus with a New Translation*. Edinburgh: T&T Clark, 1872.

Noth, M. *Leviticus*. London: SCM, 1965.

Otto, R. *The Idea of the Holy*. Tr. J. Harvey. London: Oxford, 1967.

Peake, Arthur S., Matthew Black, and H. H. Rowley. *Peake's Commentary on the Bible*. London: